

ساحر الكتب
يُعرَض الآن على نتفليكس
متحف الغرائب
هـ. ف. لافكرافت
هنري كوتنر
الرواق للنشر والتوزيع

تقديم

كثيرون يُراودهم هذا التساؤل: ما العلاقة بين المُتعة وأدب الرّعب؟ ما الذي يُغري الإنسان عادة في مشاهدة أحداث وتخيل مشاهد تُثير فيه شعور القلق، والتوتر، والخوف، بل وأحيانًا الاشمئزاز؟ وأرى أن هذا السؤال يتلاقى مع سؤالٍ مختلف آخر وهو: لماذا يُحبُّ الأطفال لعبة المطاردات؟ لماذا يسعون إلى تجربة مقابس الكهرباء، واستشعار حرارة المشاعل واحتضان الأخطار؟ إن حاولنا الإجابة عن سؤال سبب جاذبية أدب الرعب بإيجاز مُخلٍ لقلنا إن الأدب، عامةً، مادةٌ خام لأشكال الحياة: الواقعية والمُتخيلة، المرئية والمكتوبة، المعيشة والمتوهمة. أي إنه رحلةٌ نفسيّة في المقام الأول يخوضها الإنسان مُحمّلًا بأسئلة عن نفسه والآخرين والعالم، يُسائل الواقع حينًا وينثر بذور الشك في كلّ ما هو ثابت، حتّى، ويا للمفارقة، يحصد في النهاية حقيقة، قد لا تكون حقيقة مطلقة، لكنها قد تكفيه حتى حين، أو تدفعه إلى خوض رحلة جديدة. لكل نوع من أنواع الأدب باب يطرقه في ذهن القارئ، قد يُدق باب الحب في أدب الرومانسيّة، وهذا مفهوم، وقد يُفتح باب الحزن في أدب الرّثاء، وهذا منطقيّ، لكن ما الباب الذي يطرقه أدب الرعب؟ وما الذي يفعله حتى يُثير رغبة الإنسان في استكشافه؟

كثيرًا ما ذَكَرتْ النصوص المقدسة وحللت طبيعة الإنسان التي تميل إلى الخطأ، بل إلى كثرة تكرار الأخطاء. وقِصّة الإنسان مع الخطأ تعود إلى أصل نشأته، وأبيه الأوَّل: آدم ورحلته لأكل الثمرة المُحرَّمة. ولذلك، ورد في هذه النصوص إدراك الله لذلك الميل،

وإحاطته به علمًا، فوضع قواعد للحد منه، وامتيازات لمن تغلّب عليه، ووسائل للتوبة عن هذا الفعل. وفي نهاية الأمر، تؤول رحلة الإنسان في هذه الحياة، مهما طالت أو قصرت، في صراعٍ مع هذا المَيل، وتلك الرغبة، وذلك الشعور بالانطلاق نحو أدغال المُحرَّم والمجهول، يصرعه مرة ويُغلب مرات، وتدور عجلة الحياة حتى تتوقف عند آخر صراع: بمكسب الإنسان أو خسارته.

في محاولات علماء النَّفس لتفسير ذلك الشُّعور الذي يلاعب عقولنا ويجعلنا متحمسين لمشاهدة مشهد مخيف أو مُقبض، خرجت دراسات بنتائج هائلة، توافق هذا المنطق الإلهي الديني. تفيد إحدى الدراسات بالآتي: في أفلام الرعب نغرق في عوالم خيالية مليئة بالخطر الذي يشبه الخطر الذي واجهه أجدادنا في قديم الأزل، وهو خطر يُثير متعة معظم البشر عندما يتفاعلون مع السيناريوهات المتخيلة التي تبعث على التهديد. وقد خلصت الدراسات إلى تصنيف الأسباب التي تدفعنا لجاذبية روايات الرعب من منظور نفسي وعصبي والتفاعل المعقد بين عوامل مختلفة تستفيد من الجوانب الأساسية للإدراك والعاطفة البشرية. في حين أن التفسير التالي ليس شاملًا، فإنه يسلط الضوء على بعض الأسباب الرئيسة التي تجعل الإنسان ينجذب إلى روايات الرعب من وجهة نظر علمية:

١. التطهر والتنظيم الانفعالي:

- يوفر خيال الرعب بيئة آمنة إلى حدٍ كبير لتجربة مشاعر الخوف الحادة والمكثفة. يتيح التعامل مع الروايات المخيفة للأفراد بتجربة مجموعة من المشاعر في سياق آمن، مما يوفر شكلاً من أشكال

التطهر العاطفي؛ تمامًا مثلما نقرأ مسرحيات تراجيدية ونبكي حُزنًا على موت البطل أو نبكي مصيره، فإننا نتطهر من هذه المشاعر المُخزنة التي وجدت طريقها إلى الخروج. يمكن أن تساعد هذه العملية في تنظيم الانفعالات وتحرير المشاعر المكبوتة، مما يؤدي إلى الشعور بالارتياح أو التحرر الشافي.

٢. سلوك البحث عن الإثارة والإحساس بمشاعر مختلفة:

- الإنسان فضولي بطبيعته ويسعى إلى التجديد والتحفيز. في نظر بعض الأفراد، قد يبدو اندفاع الأدرينالين والإثارة الناجم عن روايات الرعب جذابًا لتجربة مشاعر جديدة وحادة ومكثفة ومتنوعة، مثل تلك التي يشعر بها المرءُ عندما يقوم بنشاط ركوب الأمواج أو القفز بالمظلات. وبالتالي، يُنشَّط نظام المكافأة في الدماغ خلال لحظات التشويق والخوف، حيث يطلق الناقلات العصبية مثل الدوبامين، مما يسهم في تقديم تجربة ممتعة ومثيرة.

٣. الأهمية التطورية للخوف:

- على مدار حياة الإنسان عبر الأجيال، دائمًا ما ظلّ الخوف عاطفة حاسمة للبقاء على قيد الحياة. وبالتالي فإن التعرض لتهديدات محاكاة في بيئة خيالية قد يؤدي إلى استجابة فسيولوجية مشابهة لمواجهة المخاطر الحقيقية. هذه الحالة المتزايدة من الإثارة يمكن أن تؤدي إلى زيادة الشعور باليقظة والوعي، مما قد يؤدي إلى تعزيز الوظيفة الإدراكية على المدى القصير.

٤. المشاركة المعرفية والتحفيز الفكري:

- غالبًا ما تتضمن الروايات والقصص القصيرة المرعبة حكايات معقدة وألغازًا وتقلبات نفسية. يمكن أن يؤدي التعامل مع هذه القصص إلى تحفيز العمليات المعرفية مثل حل المشكلات وتعرف الأنماط وتنمية مهارات التفكير النقدي. يُسهم التحدي الفكري الذي يمثله خيال الرعب في توفير تجربة غامرة ومرضية.

٥. العوامل الاجتماعية والثقافية:

- الخبرات المشتركة هي جانب أساسي من السلوك الاجتماعي للإنسان. غالبًا ما تكون روايات الرعب ما هي إلَّا تجربة جماعية، حيث تعزز الروابط الاجتماعية من خلال ردود الفعل والمناقشات العاطفية المشتركة. بالإضافة إلى ذلك، تلعب الأعراف الثقافية والمجتمعية دورًا في تحديد ما هو مخيف، وتؤثر في التفضيلات الفردية لأنواع معينة من روايات الرعب.

٦. الاستكشاف الآمن للمحظورات:

- يسمح خيال الرعب للأفراد بالاستكشاف ومواجهة الموضوعات المحظورة أو الجوانب المحرمة من التجربة الإنسانية في بيئة خيالية خاضعة للرقابة. وهذا ما قد يؤدي إلى فهم أعمق لمخاوف الفرد والقلق المجتمعي.

٧. التعاطف والاتصال العاطفي:

- الشخصيات في قصص الرعب غالبًا ما تواجه الشدائد والخطر والخوف. يمكن أن يؤدي تعاطف الجمهور تجاه هذه الشخصيات إلى ارتباط عاطفي قوي. إن تجربة الخوف تجربة غير مباشرة من خلال

تفاعل الشخصيات الخيالية قد تعزز الشعور بالرحمة والتواصل مع التجربة الإنسانية.

أي مما سبق يُمكن أن نستنتج أن الاستمتاع بقصص الرعب ظاهرة متعددة الأوجه تتضمن سمات إنسانية فطرية وتأثيرات ثقافية. من منظور علمي، تُسهم الجوانب العاطفية والمعرفية والاجتماعية للتعامل مع قصص الرعب في استمرار شعبية هذا النوع.

أمّا إذا أردنا أن نُفسِّر الأمر من وجهة نظر فلسفية، يكفينا أن نذكر نظرية الأوهام\الأصنام الأربعة لفرانسيس بيكون، وهو فيلسوف ورجل دولة من القرن السابع عشر، قدمها في كتابه «Novum Organum» (١٦٢٠). تصف الأوهام الأربعة بأنها تحيزات أو مصادر خطأ تعوق السعي الموضوعي للمعرفة. في حين أن إطار عمل بيكون يركز في المقام الأول على المنطق العلمي، يمكننا تحديد بعض الروابط بين الأسباب التي تجعل الناس يقرأون روايات الرعب وبين الأوهام الأربعة:

١. **أوهام القبيلة:** الميول والتحيزات البشرية المتأصلة التي يعود جذورها إلى الطبيعة البشرية. يكمن موضع التلاقي بين هذه الأوهام\الأصنام وبين قراءة أدب الرعب في الاستجابة الغريزية للخوف، وهو عنصر مشترك في جميع القصص المرعبة، يتماشى مع الميول الإنسانية المتأصلة التي تشملها أوهام القبيلة. جاذبية الرعب تستغل مشاعر ومخاوف كونية متجذرة بعمق في الطبيعة البشرية، مثل الخوف من المجهول، أو الموت، أو الكيانات الخارقة للطبيعة.

٢. **أوهام الكهف:** وهي التحيزات الفردية والتصورات المسبقة التي تنشأ من التجارب الشخصية ومستوى التعليم والمعرفة. عندما يبحث الأفراد عن روايات الرعب من أجل التطهر العاطفي، فقد يتأثرون بالتفضيلات الشخصية والخبرات والخلفية الثقافية. طبيعة المخاوف والقلق التي يجدها المرء مقنعة في روايات الرعب يمكن أن تتشكل من خلال خصوصية التجارب الفردية.

٣. **أوهام السوق:** الأخطاء أو المشاكل التي تقع لغويًا وهي أوهام تنشأ عن تفاعل الناس معًا. في حالة روايات الرعب، قد تتأثر الجاذبية للرعب بالفهم الثقافي المشترك لما يُصنف على أنّه مخيف. تسهم الرموز والنماذج والروايات الثقافية المشتركة المرتبطة بإثارة مشاعر الخوف في فعالية قصص الرعب في إثارة الاستجابات العاطفية عبر جمهور أوسع.

٤. **أوهام المسرح:** تُشير إلى العقائد والأيديولوجيات التي تُقبل على نطاق جمعي من دون أن تتعرض إلى الفحص والتقصي النقديين. عند ربط هذه الأوهام بأدب الرّعب، فإن التقاليد والمجازات الراسخة تدخل ضمن نوع الرعب، وهي ما قد تؤثر في كيفية تعامل الأفراد مع قصص الرعب وتفسيرها. قد يكون القراء مستعدين لقبول عناصر معينة من دون فحص نقدي بسبب إلمامهم بمجازات الرعب، وهذه الاتفاقيات المقبولة تشكل التوقعات والتجارب في خيال الرعب.

باختصار، تتوافق أسباب انجذاب الناس إلى روايات الرعب مع أوهام بيكون الأربعة من خلال التفاعل بين الميول البشرية المتأصلة

(أوهام القبيلة)، والتحيزات والتجارب الفردية (أوهام الكهف)، والفهم الثقافي المشترك (أوهام السوق). وتأثير الاتفاقيات الراسخة ضمن هذا النوع (أوهام المسرح). تعرض العلاقة بين خيال الرعب والأوهام الأربعة الطرق المعقدة التي يتلاقى بها علم النفس البشري والثقافة والأعراف الراسخة لخلق تجربة قراءة مقنعة وغامرة في هذا النوع من الرعب. من خلال فهم هذه الروابط، يمكن للمرء أن يقدر مدى تعقيد الاستجابة الإنسانية للخوف والجاذبية الدائمة لخيال الرعب بين جماهير متنوعة.

بعدما عرضنا من الأسباب الدينية والنفسيّة والفلسفية، لو حاولنا الإجابة عن سؤال: لماذا نحب أدب الرعب؟ لوجب أن نجيب أوّلًا عن سؤال: لماذا يُحبُّ الأطفال لعبة المطاردات؟ وأرى أن الإجابة مما سبق هي: حبُّ المجهول، ولعنة الفضول، وأوهام عالمية مترسخّة في العقول، واستحضار محاكاة مطاردة الفرائس بمختلف الأنواع على مرِّ العصور.

ولأنَّ الأدب مرآة لتجربة الإنسان، وعدسة مُكبّرة لانفعالاته وبواطنه جميعها، فإن الأدب عامة، والكلاسيكيات خاصة، لا تخلو من التعبير عن مختلف رغبات الإنسان مهما بدت أشد جموحًا أو غرابة. بل قل إن الكلاسيكيات (Classics) التي يُمكن ترجمتها إلى العربية بصورة أخرى: عيون الفن أو روائعه، على الرّغم من أنّها المحاولات الأولى للكتابة البشرية، هي أساس الثيمات الكونيّة، والانفعالات البشرية، والتجارب النفسية، وهي التي مهّدت الطريق أيمّا تمهيدٍ إلى الأدب الذي تلاها، وحاورت الإنسان أينما كان موقعه ووقتما عاش،

وتفاعل معها بعقله فأنتج تأويلات واستنتاجات، ووجد فيها سبيلًا إلى الحقيقة حينًا، وإلى العيش حينًا آخر.

ولنا في كُتاب الكلاسيكيات مثالان نذكرهما هنا:

أوّلًا: هـ. ف. لافكرافت، مهندس الرهبة الكونية:

لافكرافت هو شخصية بارزة في عالم الأدب الذي يتسم بالغرابة، تميز تميزًا لا مثيل له من خلال حكاياته الفريدة والمقلقة التي تجاوزت الحدود التقليدية للرعب. لا تقتصر براعته على صياغة الحكايات التي تثير الخوف، بل في قدرته على خلق أسطورة كاملة لها صدى مع مشاعر الرهبة على مستوى كونيّ. تتجلى مهارة لافكرافت التي لا مثيل لها في استحضار المجهول وغير المفهوم، وهي شهادة على براعته الأدبية. كما أنّ ثراء نثره، المليء بالتفاصيل الحية الدقيقة والرعب الكوني، يرفع أعماله إلى مكانة ما أبعد من مجرد حكاية القصص، إلى تجربة غامرة تترك علامة لا تمحى في نفسية القارئ. تمتد إسهامات لافكرافت في هذا النوع إلى ما هو أبعد من المخاوف المباشرة؛ وذلك لأنه كانت له الريادة في الأسلوب الذي يستكشف هشاشة العقل البشري عندما يواجه الكون الشاسع غير المبالي والقوى القديمة الخبيثة. ولذلك فإن إرثه لا يستمر فقط في نوع الرعب ولكن في المشهد الأدبي من منظور أوسع، مما يؤثر في عدد لا يحصى من الكتاب والفنانين الذين يواصلون استحضار الإلهام من قدرته التي لا مثيل لها على نسج الكوابيس في نسيج الخيال.

ويظهر ذلك في القصص الثلاثة ضمن هذه المجموعة:

أولًا: نموذج بيكمان:

في «نموذج بيكمان»، يغرق لافكرافت القارئ في عالم غامض لريتشارد أبتون بيكمان، وهو فنان منعزل وغريب الأطوار تطمس إبداعاته المروعة الخط الفاصل بين الفن والرعب. يرشدنا نثر لافكرافت الدقيق عبر الاستوديوهات ذات الإضاءة الخافتة واللوحات القماشية المسكونة، مما يسمح للقارئ بتجربة الفن المثير للأعصاب الذي تصوره بيكمان. تتعمق القصة في الأصل النفسي للراوي، الذي يشعر بالصدمة والذهول من تصوير بيكمان الكابوسي. يستكشف لافكرافت ببراعة موضوع المعرفة المحرمة وعواقب الخوض في عمق المروع، مما يترك انطباعًا لا يمحى من الرعب والخوف.

قد يرى القارئ إنها في باطنها تعكس نوعين من البشر: ذلك النوع الجبان الذي يعيش على حافة العالم أو الهامش، وأمَّا النوع الآخر، فذلك الذي يحتضن الأخطار بذراعين مفتوحتين فيلقى عاقبة التجربة وتبعاتها.

ثانيًا: أحلام في منزل الساحرة:

تتكشف أحداث قصة «أحلام في منزل الساحرة» كنسيج من الكوابيس الغامضة، يُحاك حول بطل القصة، والتر جيلمان، شبكة شريرة من الأحلام والواقع. ينسج لافكرافت قصة تطمس الحدود بين الغامض والملموس، حيث يقع جيلمان في شرك القوى الخبيثة

الكامنة داخل منزل مُريب. تتكشف القصة بمزيج مقلق من الرعب الكوني والرعب النفسي، مما يتحدى القارئ لتمييز الطبيعة الحقيقية للأهوال التي يواجهها جيلمان. تخلق حكاية لافكرافت الماهرة جوًا من الشؤم، مما يترك أسئلة عالقة عن الحجاب الرقيق بين الأحلام والمجهول.

وأخيرًا: الغريب:

تمثل قصة «الغريب» استكشاف مؤثر للعزلة الوجودية والبحث عن الهوية. يتنقل بطل الرواية الذي لم يذكر اسمه في قصة لافكرافت في قلعة متدهورة، ويشرع في رحلة سريالية تشوّه الخطوط الفاصلة بين الأحياء والأموات. تتكشف القصة في جو مؤرق، وينجذب القارئ إلى كفاح بطل الرواية من أجل اكتشاف الذات. يثير نثر لافكرافت المليء بالعناصر القوطية إحساسًا بالجمال المخيف وسط الرعب. بينما يصعد بطل الرواية نحو الإلهام وتجلي الحقائق، يدعونا لافكرافت إلى التفكير في طبيعة الهوية والإدراك المقلق بأن الغريب قد يكون أقرب إلى أنفسنا مما نجرؤ على الاعتراف به.

ثانيًا: هنري كوتنر، معجزة الرعب:

ترك هنري كوتنر، وهو كاتب غزير الإنتاج في منتصف القرن العشرين، بصمة دائمة في مجالات الخيال العلمي والفانتازيا والرعب. امتدت مسيرة كوتنر المهنية لفترة قصيرة نسبيًا، إلا أن تأثيره في الأدب التأملي كان تأثيرًا عميقًا. اشتهر كوتنر بتعدد

تقنياته وقدرته على الانتقال بسلاسة بين الأنواع الأدبية، وقد كتب مجموعة واسعة من القصص، تاركًا إرثًا لا يمحى ولا يزال يأسر القراء. غالبًا ما أظهرت أعمال كوتنر مزيجًا مميزًا من الذكاء والخيال والميل إلى تجاوز حدود رواية القصص التقليدية. تعاون مع زوجته سي. تحت الاسم المستعار «لويس بادجيت»، أُنتج بعض من أشهر أعمالهما. تبرز براعة كوتنر في سرد القصص وتتضح وضوحًا لا ريب فيه في قدرته على اجتياز نغمات وأمزجة مختلفة، بدءًا من الحكايات الغريبة والفكاهية وحتى الروايات المظلمة والحيّة الدقيقة.

في حين أن مسيرة كوتنر المهنية توقفت بصورة مأساوية بسبب وفاته المفاجئة في عام ١٩٥٨، فإن تأثيره تجاوز سنة وفاته. أفاد «العصر الذهبي للخيال العلمي» إفادة كبيرة، وما زالت قصصه تحظى بالاحتفاء بأصالتها وذوقها الخيالي. إن قدرة كوتنر على التنقل بسلاسة في عوالم الأدب التأملي، وغرس حكاياته ذات القيمة العميقة والترفيهية، عززت مكانته بوصفه مايسترو في الأدب الشعبي في منتصف القرن العشرين. اليوم، لا يزال بإمكان القراء تقدير تراث هنري كوتنر وذلك يتضح بفضل الجاذبية الخالدة لقصصه التي تتجاوز حدود النوع الأدبي.

إحدى إسهامات كوتنر البارزة في قصص الرعب هي القصة القصيرة «فئران المقبرة». في هذه الحكاية، يجمع بمهارة بين عناصر الرعب والأجواء الجريئة لأفلام النوير وأدب الجريمة. تدور أحداث القصة في مدينة مليئة بالقوى الخارقة للطبيعة، وتكمن براعة كوتنر

في خلق تجربة جوية ومثيرة. لا تُظهر القصة قدرة كوتنر على إثارة الخوف فحسب، بل تُظهر أيضًا موهبته في دمج عناصر متنوعة في لوحة سرد القصص الخاصة به.

استحضار الرعب: تراث لافكرافت وكوتنر

عند تحليل «نموذج بيكمان» و«أحلام في منزل الساحرة» و«الغريب» و«فئران المقبرة»، يصبح من الواضح أن لافكرافت وكوتنر يجمعهما تقنيات مشتركة، وقد جلب كل منهما صوتًا مميزًا إلى نوع الرعب. الرعب الكوني لـلافكرافت، المتجذر في الرهبة الوجودية والمجهول، يجد نظيره في حكايات كوتنر المليئة بأفكار أدب لب الخيال أو الأدب الرّخيص التي تمزج الرعب الكوني بالعمق النفسي.

ومما لا يدعو للدهشة أن يلتفت انتباه القراء وصناع الأفلام والمسلسلات في العصر الحالي إلى أهمية هذا الأدب، ومحاولة استكشافه. ومن أحدث هذه المحاولات هو مُسلسل Guillermo del Toro›s Cabinet of Curiosities يُعرض على منصة نتفليكس، وهو مسلسل مكون من ٨ حلقات، بعض هذه الحلقات مستلهمة من هذه القصص استلهامًا واضحًا إلى حدّ أن بعض الحلقات تحمل عناوين القصص نفسها، مثل أحلام في منزل الساحرة وفئران المقبرة، وبعضها متأثر تأثرًا طفيفًا بهذه القصص مثل قصة الغريب.

في أثناء عبورنا أروقة هذه الحكايات، التي صاغها لافكرافت

وكوتنر، رأينا فيها فرصة ثرية لدعوة القراء إلى الخوض في غمار هذه الأدغال واحتضان المناظر الطبيعية المخيفة التي رسمها هذان العملاقان الأدبيان. في هذا الاستكشاف، نكشف خيوط الرعب التي نسجها هذان المؤلفان، اللذان لا تزال حكاياتهما يتردد صداها في أحلك تجاويف الخيال البشري، تاركة إرثًا دائمًا في سجلات أدب الرعب.

سهيلة رمضان

نموذج بيكمان

هـ. ف. لافكرافت

لا داعي لأن تظن أنني جننت يا "إليوت"، فلكثير من النّاس تحيزاتٌ أشد غرابة من هذا. لمَ لا تسخر من جد "أوليفر"، الذي لا يريد أن يركب سيارة قط؟ إذا لم أحب قطار الأنفاق فذلك شأني الخاص، وقد وصلنا بسرعة أكبر بسيارة الأجرة، ولاضطررنا إلى السير لأعلى التل من شارع "بارك" إذا ركبنا السيارة.

أعرف أنني متوتر أكثر من العام الماضي عندما رأيتني، لا تحتاج إلى أن تكون عبقريًا لتعرف السبب. الأسباب لا تعد ولا تحصى، يعلم الله، وأتخيل أنني محظوظ فما زلت عاقلًا بعد كل ما حدث. لم الدرجة الثالثة؟ لم أعهدك فضوليًا هكذا من قبل.

حسنًا، إذا كان مهمًا أن تسمع ذلك، فأنا لا أعرف لم لا ينبغي لك أن تعرف. ربما ينبغي أن تعرف على أية حال، لأنك استمررت في الكتابة إليّ مثل والد مكلوم عندما سمعت أنني اعتزلتُ نادي الفنون وابتعدتُ عن "بيكمان". الآن وقد اختفى هو ترددتُ إلى محيط النادي مرة كل فترة طويلة، لكني لم أعد جسورًا كسابق عهدي.

كلا، أنا لا أعلم ما حدث لـ"بيكمان"، ولا أود التخمين. قد تعتقد أني حصلت على بعض المعلومات من الداخل حين أوصلته، ولهذا السبب نفسه لا أريد التفكير إلى أين ذهب. لنترك الشرطة تتوصل إلى ما تستطيع من معلومات، التي لن تكون بالقدر الكافي، نظرًا إلى أنهم لا يعرفون بعد عن المكان القديم في الشمال الذي استأجره باسم

"بيترز". أنا غير متأكد إن كنت أستطيع الوصول إليه بنفسي مرَّة ثانية، وليس معنى ذلك أنني سأجرب، حتى في وضح النهار! نعم، أنا أعرف أو أخشى أن أعرف، لمَ احتفظ به. سوف أتوصل إلى ذلك. وأعتقد أنك ستفهم لِمَ لا أخبر الشرطة. سيطلبون مني أن أرشدهم، لكني لا أستطيع العودة إلى هناك حتى لو أعرف الطريق. حدث شيء ما هناك والآن لا أقدر أن أستقل قطار الأنفاق، أو (وقد تسخر من ذلك أيضًا) أن أنزل إلى الأقبية مرة أخرى.

ينبغي أن أفكر أنك لا بد أن تعرف أنني لم أترك "بيكمان" للسبب السخيف نفسه الذي جعل امرأة عجوزًا سريعة التوتر مثل دكتور "ريد" أو "جو مينو" أو "بوسورث" يتركونه. لَمْ يصدمني الفن الكئيب قط، وعندما يمتلك شخص ما عبقرية "بيكمان" أعد معرفته سبب فخر، لا يهم أي اتجاه أخذ فنه. لم يكن في "بوسطن" يومًا رسام أعظم من "ريتشارد أبتون بيكمان". قلت ذلك في البداية وما زال رأيي ثابتًا، لم يتحرك قيد أنملة، أيضًا عندما عرض لوحة "إطعام الغول". التي تتذكرها، كان ذلك عندما تخلى عنه "مينوت".

تعرف أن الإنسان يحتاج إلى فن عميق وبصيرة ثاقبة نحو الطبيعة ليتمكن من إنتاج مثل أعمال "بيكمان". تستطيع أن تلطخ ألوانًا بعشوائية وجموح كأيّ فكرة لغلاف مجلة، وتدعوها "الكابوس" أو "سبت الساحرات" أو "صورة الشيطان"، لكن فقط الرسام العظيم هو من يجعل ذلك مرعبًا حقًّا ويخلق انطباعًا حقيقيًا. الفنان الحقيقيّ فقط هو من يعرف التشريح الحقيقي للرعب أو التطبيق الحقيقي للخوف، النوع المناسب للخطوط والنسب التي تجمعها معًا الرغبات

الخفية أو الذكريات الموروثة للخوف، وتضاد الألوان المناسب ومؤثرات الإضاءة اللازمة لإثارة الشعور الكامن بالغرابة.

لست مضطرًا إلى إخبارك لم تجعلنا لوحة لـ"فوسيلي"(1) نرتعش بينما يجعلنا غلاف كتاب رخيص عن الأشباح نضحك بكل بساطة. هناك شيء ما -وراء هذه الحياة- فَهمه هؤلاء المبدعون وتمكنوا من جعلنا نلمسه للحظات. امتلكه "دوريه"، ويمتلكه "سايم"، و"أنجارولا"(2) من شيكاغو أيضًا. وامتلكه "بيكمان" كما لم يمتلكه أحد من قبل أو – أتمنى من الله- كما لن يمتلكه أحد ثانية أبدًا.

لا تسألني ماذا رأوا. أنت تعرف، في الفن العادي، يوجد اختلاف كبير بين الأشياء الحية المرسومة من الطبيعة وكأنها تتنفس، والنماذج الصناعية التجارية المصنوعة في مرسم خالٍ خاضعة لقواعد معينة.

في الواقع، ينبغي القول إن الفنان المختلف فعلًا يمتلك رؤية خاصة تمكنه من صنع نماذجه، أو يتمكن من استدعاء كمية مناسبة من المشاهد الحقيقية من العالم الطيفي الذي يعيش فيه. في كل الأحوال يتمكن إنتاج فن الفارق بينه وبين أحلام المدّعين المُبهرجة كالفارق بين ما يرسمه رسام الطبيعة وما يُرسم في خطابات المدرسة الكرتونيّة. ماذا لو رأيت فقط ما رآه "بيكمان"! لكن لا. دعنا نتناول مشروبًا الآن قبل أن نتعمق في الحديث. يا إلهي! أظن أنني لم أكن لأنجو إن رأيت ما رآه ذلك الرجل، إن كان رجلًا في الأصل.

أظنك تتذكر أن موطن قوة "بيكمان" هي الوجوه. لا أعتقد أن

أحدًا بعد "جويا"(3) استطاع وضع هذا الكم من الرعب في بعض الملامح أو تعبيرات الوجه. وقبل "جويا" أبدع فنانو العصور الوسطى الجارجولات(4) والكايميرات(5) في كاتدرائية "نوتردام" و"جبل القديس ميشيل"(6). آمنوا بكل أنواع الأشياء، ومن المحتمل أنهم رأوا كل أنواع الأشياء أيضًا، فقد تخللت العصور الوسطى فترات غريبة الأطوار. أتذكر سؤالك لـ"بيكمان" بنفسك في إحدى المرات، في العام السابق لرحيلك، من أين بحق السماء أتى بهذه الرؤية والأفكار. ألم يجبك بضحكة شريرة؟ كانت هذه الضحكة أحد أسباب ترك "ريد" له. ما شغل "ريد" هو علم الأمراض المقارَن، انشغالًا إلى حد الامتلاء بالغرور حيال الدلالات الحيوية أو التطورية للأعراض الجسدية أو العقلية. أتى فيما قيل على لسان ريد إن رفض "بيكمان" لريد ازداد يومًا بعد يوم، وما يُخشى منه في النهاية هو أن ملامح "بيكمان" وتعبيراته تطورت بطريقة غير مريحة، بطريقة غير بشرية. استمر كلام "ريد" كثيرًا عن نظامه الغذائي، تأكيدًا أن "بيكمان" غير طبيعي وغريب الأطوار لأقصى درجة. افترض أنك قلت لـ"ريد" -إن تراسلتما عن هذا الموضوع- عن ترك العنان لرسومات "بيكمان" لتسلب الخيال. وقد قلت لريد ذلك بنفسي حينها.

لكن ضع في حسبانك أنني لم أتخل عن "بيكمان" لذلك السبب، بل ازداد إعجابي به، فلوحة "إطعام الغول" إنجاز هائل. وكما تعلم، لم يكن النادي مستعدًا لعرضها، ولن يستقبلها متحف الفنون الجميلة كهدية، وأضيف أنا أن أحدًا لن يشتريها، لذلك احتفظ بها "بيكمان" في منزله حتى رحل. والآن يحتفظ بها والده في مدينة "سالم"،

أنت تعلم أن أصل "بيكمان" يرجع إلى "سالم" وجدته الكبرى ساحرة شُنقت في عام ١٦٩٢.

اكتسبت عادة الاتصال بـ"بيكمان" كثيرًا، خصوصًا بعد أن شرعتُ في تدوين ملاحظات لدراسة عن الفن الغريب. غالبًا فنه هو ما أعطاني الفكرة، وعلى أي حال، فقد وجدته منجمًا للمعلومات والاقتراحات عندما بدأت الدراسة. أراني "بيكمان" كل الرسومات واللوحات التي يمتلكها وتخص الموضوع، من ضمنها بعض المخططات بالأقلام والحبر، وأعتقد أنها لتسببت في طرده من النادي إن رآها أي من الأعضاء.

في وقت سابق كرست وقتي كلّه تقريبًا، أستمع إليه وكأنني تلميذ يستمع لعدة ساعات إلى نظريات وافتراضات فلسفية غريبة لدرجة تجعله مؤهلًا لدخول مستشفى "دانفرس"(7). إعجابي الشديد به اقترن بحقيقة أن الناس بدأوا يبتعدون عنه تدريجيًا، مما جعله يخفي عني أسراره وخصوصياته، ثم لمّح ذات مساء إنني لو أغلقت فمي تماما -ولا حساسية في ذلك- فقد يريني شيئًا غير معتاد، شيئًا أقوى من كل ما يمتلكه في منزله.

قال "أنت تعلم، هناك أشياء لا تنتمي لشارع "نيوبري"، لا مكان لها هنا، ولا يمكن إبداعها هنا، على أي حال. اهتمامي أن ألتقط إيحاءات الروح، ولن تجد ذلك في مجموعة من الشوارع الصناعية على أرض مصنوعة بأيدي البشر. خليج "باك" ليس بوسطن، ليس شيئًا على الإطلاق، فلا وقت لصنع ذكريات أو جذب الأرواح المحلية. إذا كان هناك أي أشباح هنا، فهي أشباح مستنقعات الملح والخليج الضحل

المروضة، وأنا أريد أشباحًا بشرية، أشباحًا منظمة بما يكفي لأن ترى الجحيم وتعرف معنى ما رأت".

"المكان المناسب ليعيش فيه الفنان هي الجهة الشمالية. بإمكان أي متذوق مخلص للجمال أن يتحمل الأحياء الفقيرة من أجل تجمع التقاليد هناك. يا الله! ألا تدرك يا رجل أن أحياء كتلك لم تُصنع بكل بساطة، لكنها في الحقيقة نَمَت؟ جيل وراء جيل عاشوا واختبروا المشاعر وماتوا هناك، في أيام لم يخش الناس الحياة والشعور والموت. ألا تعلم بوجود طاحونة هواء في تل "كوب" في عام ١٦٣٢، وأن نصف الشوارع الموجودة الآن وُضِعَت في عام ١٦٥٠؟ أستطيع أن أريك بعض المنازل المقامة منذ قرنين ونصف من الزمان أو أكثر، منازل شهدت ما يجعل منزلًا حديثًا يتفتت ويصير غبارًا. ماذا يعرف العصريون عن الحياة والقوى وراءها؟ تدعون أن سحر "سالم" وهم، لكن أظن أنه كان لدى جدتي الكبرى لأمي -لأربعة أجيال سابقة- ما تريد أن تقوله بشأن ذلك. لقد شُنقت أعلى تل "جالوز"، و"كوتن ميذر(8)" يتظاهر بالورع. اللعنة على "ميذر" كان خائفًا أن ينجح أحد ما في الهرب من قفص الرتابة الملعون. كم تمنيت أن يلقي عليه شخص ما لعنة أو يمتص دماءه في المساء".

"أستطيع أن أريك منزلًا عاش فيه، وآخرَ خشي دخوله على الرغم من حديثه المليء بالجرأة. عرف "ميذر" بعض الأمور التي لم يجرؤ على وضعها في "الماجناليا" الغبية، أو "عجائب العالم غير المرئي"(9) السخيف. انظر، هل تعرف أن الجهة الشمالية احتوت في وقت ما أنفاقًا تُمكّن الناس من البقاء على اتصال بين منازل بعضهم

بعض، بل وبالمقابر والبحر أيضًا؟ ليحاكموهم ويضطهدوهم فوق الأرض، وتجري الأمور كل يوم في أماكن لا يرونها وتعلو الضحكات حيث لا يستطيعون سماعها".

" أستطيع أن أريك شيئًا غريبًا في أقبية ثماني منازل من كل عشرة منازل باقية حتى الآن وبنيت قبل عام ١٧٠٠. يكاد لم يمر شهر حتى تسمع عن عامل وجد بئرًا أو قنطرة من الطوب -لا تؤدي إلى مكان ما الآن- في أحد الأماكن القديمة، توجد واحدة في شارع "هينشمان" اكتشفت في أعمال الطرق العام الماضي. هناك كانت الساحرات وتعويذاتهم المستدعية، والقراصنة وما أحضروه من البحر، والمهربون، وسفن القرصنة، وأقول لك إن الناس قديمًا عرفوا كيف يعيشون، وكيف يوسعون حدود الحياة. ليست هذه فقط الحياة التي يعرفها رجل حكيم وجسور، كذبة! وعندما تفكر في اليوم فعلى العكس، مع هذه العقليات المحدودة، حتى نادي أولئك الذين يُفترض أنهم فنانون تنتابهم قشعريرة وتشنجات عندما يرون لوحة ترقى عن طاولة شاي في شارع "بيكون"!"

"العزاء في الحاضر أنه من نقص القدرة والكفاءة أن تُساءل الماضي مساءلة دقيقة عن قُرب. فما الذي تقوله الخرائط والسجلات وكتب الإرشادات في الواقع عن الجهة الشمالية؟ هراء! في تقديري أضمن أن أرشدك إلى ثلاثين أو أربعين حارة وشبكة طرق الحارات شمال شارع "برنس" لا يعرفها حتى عشرة كائنات حية بخلاف الأجانب المتجمهرين فيها. وما الذي يعرفه هؤلاء المتحدثون بلسان أجنبي عن معنى تلك الأماكن؟ لا شيء، تلك الأماكن العتيقة هي

حلم رائع، تفيض بالعجائب والرعب، وتهرب من المألوف، وحتى الآن لا توجد روح حية تفهم أو تنتفع منها. أو بالأحرى توجد روح حية واحدة، فأنا لم أبحث في الماضي عن لا شيء!"

"أرى أنك مهتم بهذه الأشياء، ماذا لو قلت لك إنني أمتلك مرسمًا آخر هناك، أين ألتقط روح ليل الرعب العتيق وأرسم لوحات لم أستطع حتى التفكير فيها في شارع "نيوبري"؟ بالطبع لم أخبر بذلك الخادمات الملعونات في النادي مع "ريد"، اللعنة عليهن، يتهامسن عليّ وكأنني وحش في أسفل منحنى التطور. نعم، قررت منذ وقت طويل أن أرسم الرعب مثلما أرسم الجمال، لذا استكشفت الأماكن التي لدي أسباب لأيقن أن الرعب يعيش فيها".

"توصلت إلى مكان لا أعتقد أن ثلاثة رجال على قيد الحياة غيري قد رأوه. ليس بعيدًا جدًّا من حيث المسافة لكن روحه تبتعد قرونًا. اخترته بسبب البئر الحجرية القديمة في القبو، فهي من النوع الذي أخبرتك عنه. يكاد الكوخ أن يسقط، فلن يتمنى أي إنسان أن يعيش فيه، وأكره أن أقول لك كم كان ما دفعته زهيدًا. أُغلقت النوافذ بألواح خشبية، وأحببت ذلك، فلا أريد ضوء النهار لما أفعله. رسمت في القبو، حيث الإلهام في أشده، لكني جهزت بقية الغرف في الطابق الأرضي بالأثاث. يمتلك المكان صقلي، واستأجرته باسم "بيترز".

"والآن إن أردت فسآخذك الليلة إلى هناك. أظنك ستستمتع بالصور، فكما قلت أطلقت لنفسي العنان قليلًا هناك. ليست جولة كبيرة، في الكثير من الأحيان أسير إلى هناك، فأنا لا أريد جذب الانتباه

بركوب سيارة أجرة في مثل ذلك المكان. نستطيع ركوب الحافلة من المحطة الجنوبية في شارع "باتري"، وبعد ذلك المسافة ليست بكبيرة"

حسنا يا "إليوت" لم يكن لدي الكثير لأفعله بعد ذلك الخطاب، فقط أن أمنع نفسي من الهرولة بدلًا من السير إلى أقرب سيارة أجرة أراها. ذهبنا إلى المحطة الجنوبية، وفي حوالي الساعة الثانية عشر كنا ننزل الدرجات لشارع "باتري"، مشينا حذاء الواجهة البحرية القديمة ورصيف الميناء. لم أستمر في متابعة الشوارع المتقاطعة، ولا أستطيع إخبارك حتى الآن أيها دخلنا، لكني أعرف أنه ليس طريق "جرينوه".

التففنا لنصعد خلال الطريق المهجور لأقذر أقدم حارة رأيتها في حياتي، رأيت الأسقف المنحدرة للبيوت منهارة، والنوافذ الزجاجية مهشمة، والمداخن العتيقة تقف نصف محطمة وخلفها السماء المقمرة. لا أعتقد أن هناك حتى ولو ثلاثة منازل لم تكن موجودة في زمن "كوتن ميذر"، من دون شك لمحت على الأقل اثنين لهما شرفتان، وأظن أنني رأيت سقفًا مدببًا من نوع الأسقف المنحدرة القديمة المنسية، على الرغم من تأكيد الأثريين على أنها لم تعد موجودة في بوسطن.

من تلك الحارة ذات الضوء الخافت، اتجهنا إلى اليسار لحارة أخرى صامتة مثلها ولكن أكثر ضيقًا، ومن دون إضاءة على الإطلاق، وخلال دقيقة ملنا إلى اليمين في زاوية منفرجة في الظلام. وبعد ذلك بقليل أخرج "بيكمان" مصباحًا يدويًّا وعلى ضوئه

ظهر باب عتيق مغطى بعشرة ألواح خشبية، وبدا مسوسًا للغاية. فتحه وقادني لمدخل فارغ ذكرني بشكل مثير بزمن "أندروز" و"فيبز"(10) والسحر. بعد ذلك سرنا نحو باب إلى اليسار، وأضاء مصباحًا زيتيًا، وقال لي أن أعد نفسي في منزلي.

الآن يا "إليوت" أشعر أنني صرت متجمد المشاعر، لكني أعترف أن ما رأيته على جدران الحجرة أضرني كثيرًا. رأيتهم في لوحاته -الذين لم يستطع رسمهم أو إظهارهم في شارع "نيوبري"- وكان محقًا في قوله إنه ترك العنان لنفسه. والآن لنشرب مشروبًا آخر فأنا حقًا أحتاج إلى ذلك.

لا فائدة كبيرة من محاولتي لوصف اللوحات، لأن البشاعة والمُروق المرعب، والاشمئزاز غير الطبيعي، والخلل الأدبي، تتجلى في لمسات بسيطة أصعب من أن تعبر عنها الكلمات. لم يستعمل الأسلوب الغريب الذي تراه في أعمال "سيدني سايم"(11)، ولا المناظر الطبيعية للكواكب الأخرى ولا لوحات الفطريات القمرية التي استعملها "كلارك أشتون"(12) ليجمد الدم في العروق. اعتمد في الخلفيات على ساحات الكنائس، والغابات، والمنحدرات بجوار البحر، والأنفاق الحجرية، والغرف العتيقة المغطاة بألواح الخشب، وأقبية البنايات. كانت مقابر تل "كوب" -التي لا تبتعد كثيرًا عن منزله- مشهدًا مفضلًا.

أما الجنون والوحشية فتقبع في الأشكال الأمامية في اللوحات، فقد كان "بيكمان" بفنه المظلم مشهورًا كواحد من راسمي اللوحات

الشيطانية للأشخاص. نادرًا ما رسم بشريين مكتملين في لوحاته، غالبًا ما يقترب من الطبيعة البشرية بدرجات متفاوتة. أغلب الأجساد، على الرغم من أنها تمتلك قدمين، لكنها منحنية إلى الأمام، ولها أنياب بارزة. المادة المستخدمة لمعظم الأعمال نسيج مطاطي كريه. آه! وكأنني أراها الآن! إنها مُحتلّة، لا تطلب مني أن أكون محددًا. كانت تتغذى، لا لن أقول علامَ. أحيانًا يظهرون كمجموعات في المقابر أو الممرات تحت الأرض، ودائمًا في صراع على غنيمتهم أو على كنز دفين. وأحيانا يعطي "بيكمان" تعبيرات مريعة لهذه الوجوه المصمتة! بين حين وآخر تظهر الأشياء وهي تقفز خلال نافذة مفتوحة في الليل، أو تجثم على صدر النائمين وتعتصر أعناقهم. على قماش الرسم ظهرت مجموعة منهم تعوي على ساحرة مشنوقة على تل "جالوز"، ووجه الساحرة الميت يشبههم كثيرًا.

لكن لا تظن أن كل هذه الأعمال البشعة هي ما جعلتني أفقد الوعي. لست طفلًا في الثالثة، وشاهدت الكثير المشابه من قبل. لكنها الوجوه يا "إليوت"، تلك الوجوه الملعونة، ونظراتها الثاقبة ولعابها السائل خارجًا من لوح الرسم وهي تمتلئ بأنفاس الحياة. بحق الله يا رجل، أيقن بلا شك أنها كانت حية! ذلك الساحر الذي أصابني بالغثيان أضرم النار في الألوان، وفرشاته عصا سحرية تولد الكوابيس. أعطني إناء الخمر يا "إليوت".

هناك شيء يدعى "الدرس" لتشفق عليّ السماء لأني رأيته. هل تستطيع تخيل مجموعة من كائنات غير معروفة، أشبه بالكلاب، تشكل دائرة يركعون في ساحة كنيسة ويُعلّمون طفلًا صغيرًا كيف

يأكل مثلهم؟ أعتقد أن هذا ثمن المقايضة، أنت تعلم الخرافة القديمة التي تقول إن غريبي الأطوار يتركون صغارهم في مهاد صغيرة للمقايضة بهم أمام الحصول على صغار البشر الذين سرقوهم. رسم "بيكمان" ما حدث لهؤلاء الرُّضّع المسروقين، وكيف نموا، وبعد ذلك تراءى لي العلاقة البشعة بين وجوه البشريين وغير البشريين. أسس -في كل درجات رسمه المظلم بين غير البشريين الواضحين والبشريين المتحللين- رابطًا تهكميًا وتطوريًا. وكأن أشباه الكلاب تطوروا من البشر الموتى!

ليس بعد أن تعجبت بما فعله بصغارهم بكثير -الذين تركوهم مع البشريين كنوع من المقايضة- حتى رأيت صورة تجسد الفكرة بدقة. صورة لمشهد داخلي لبيت متدين عتيق في حجرة هادئة شديدة الإضاءة، لها نوافذ شبكية، وتحتوي على أثاث غير متقن الصنع من القرن السابع عشر، تجتمع فيها عائلة حول الأب الذي بدا أنه يقرأ الكتاب المقدس، حملت وجوههم جميعًا النبل والاحترام عدا واحد، ظهر على وجهه سخرية الشك. وهو الشاب الصغير الابن المزعوم لذلك الأب التَقيّ، لكنه لم يبد قريبًا لهم كما بدا أن هناك شيئًا غير طبيعي. كان البديل الخاص بهم، ولشدة السخرية أعطاه "بيكمان" ملامح تشبه ملامحه الخاصة.

في ذلك الوقت أضاء "بيكمان" مصباحًا في غرفة مجاورة، وأمسك لي الباب مفتوحًا بتهذيب، متسائلًا إن وددت أن أرى (لوحاته الحديثة في طورها الأوليّ). لم أستطع أن أعطيه رأيي فقد عُقِد لساني خوفًا واشمئزازًا، لكني أعتقد أنه تفهم ذلك بل شعر بالإطراء

أيضًا. والآن أريد أن أطمئنك ثانيةً يا "إليوت" فأنا لست مدللًا لأصرخ بسبب أي شيء غير مألوف. أنا رجل في منتصف العمر ومثقف بشكل كافٍ وأظنك رأيت مني في فرنسا ما يجعلك تعرف أنني لا أُهزم بسهولة. تذّكر أيضًا أنني كنت على وشك التعافي واعتياد الصور المخيفة التي حولت مستعمرة "نيو إنجلاند" إلى ملحق للجحيم. وبالرغم من كل ذلك، أجبرتني الحجرة المجاورة على الصراخ، واضطررت إلى أن أتمسك بالباب حتى لا أسقط على ركبتيّ. امتلأت الحجرة الأخرى بصور الغيلان والساحرات وهم يحكمون عالم أجدادنا القدماء مما بث الرعب في عالمنا الحالي.

أتعجب كيف يرسم ذلك الرجل! وجدت هناك لوحة ابتدائية تسمى "حادثة قطار الأنفاق"، يظهر فيها قطيع من المخلوقات القبيحة، تتسلق عبر سراديب غير معروفة من خلال شق في أرضية محطة أنفاق شارع "بويلستون" وتهاجم الحشود على الرصيف. ولوحة أخرى لرقصة على تل "كوب" بين المقابر بالخلفية ذاتها في الوقت الحالي. ولوحة يظهر فيها عدد من الأقبية يزحف منها الوحوش عبر فتحات البناء وشقوقه ويضحكون وهم جاثمون خلف برميل أو مرجل وينتظرون ضحيتهم الأولى عند هبوطها الدَرَج.

لوحة رسم أخرى بدت مقززة بشكل لا يوصف، ظهر فيها مقطع عرضي في تل "بيكون"، وجيش من وحوش قذرة تشبه النمل يضغطون أنفسهم خلال شقوق عميقة في الأرضية. رسم "بيكمان" الرقصات في المقابر الحديثة بحرية، لكن صدمني تصور آخر أكثر من البقية، مشهد في قبو غير معروف حيث تجمهرت الوحوش

حول وحش يقرأ كتابًا مشهورًا لإرشادات عن بوسطن، وبدا أنه يقرأ بصوت عالٍ، والجميع يشيرون إلى ممر معين وكل الوجوه مشوهة بضحكات متشنجة، شعرت كأنني أسمع صداها الشيطاني. وكان عنوان اللوحة "كذبة هولمز ولوويل ولونجفيلو المدفونة في جبل أوبرن".

امتلكت زمام نفسي تدريجيًا، وتأقلمت من جديد على هذه الحجرة الثانية الممتلئة بالخلل واللوحات الشيطانية، أخذتُ أحلّل بعض نقاط اشمئزازي وتقززي. في المقام الأول -قلت لنفسي- رفضت هذه الأعمال بسبب وحشيتها المطلقة والقسوة التي أظهرتها في "بيكمان"، ينبغي أن يكون عدوًا قاسيًا عديم الشفقة بجنس البشر كله حتى يجد سعادته في تعذيب العقل والجسد وتمزيق الموتى. في المقام الثاني، أرعبتني هذه الأعمال بسبب عظمتها، فهي تظهر نوعًا من الفن المتقن بشدة، عندما ترى اللوحات فأنت ترى الشياطين أنفسهم وترتعب منهم. والجانب الغريب هو أن "بيكمان" لم يحُز أيًا من نقاط قوته بانتقاء رسوماته أو غرابتها. لا شيء مشوش أو مشوه أو غير واضح أو تقليدي، بدت الخطوط العريضة حادة ومملوءة بالحياة، والتفاصيل محددة بصورة مؤلمة، والوجوه!

لم يمثل ما رأينا فقط تأويلًا لفنان عادي؛ لكنه الجحيم نفسه، شديد الوضوح والموضوعية. هو كذلك بحق السماء. لم يكن "بيكمان" فنانًا خياليًا ولا رومانسيًا على الإطلاق، ولم يحاول أن يصدمنا، أو يعطينا لمحة برّاقة سريعة الزوال كالحلم، لكنه ببرودة وسخرية عكس بعضًا من عالم الرعب الثابت والآلي والراسخ، الذي رآه كاملًا ببراعة

وبشكل مباشر ومن دون أن يتزعزع.

يعلم الله فقط ماذا رأى "بيكمان" في عالمه، أو أين لمح هذه الأشكال المارقة التي قفزت وهرولت وزحفت خلاله، لكن أي كان مصدر تصوراته المحيرة، يوجد شيء واحد واضح. "بيكمان" بكل حواسه -في الفكرة والتنفيذ- مثابر ومجتهد بل ويكاد أن يكون عالمًا واقعيًا.

في ذلك الوقت تقدم مضيفو الطريق للقبو، إلى مرسمه الحقيقيّ، وأعددت نفسي للتأثيرات الشيطانية للوحاته غير المكتملة. عندما وصلنا إلى نهاية الدَرَج الرطب، حوَّل مصباحه اليدوي إلى زاوية مكان قريب، مفتوح وكبير، يكشف عن حاجز حجري لما كان يومًا بئرًا كبيرة في الطابق الأرضي. اقتربنا أكثر، ووجدت أن عرضها حوالي خمسة أقدام، ولها حوائط تعلو فوق الأرض بمقدار قدم وست بوصات، أظنها من أعمال القرن السابع عشر، أم كنت مخطئًا. قال "بيكمان" أن هذا ما تحدث عنه سابقًا، مخرج لشبكة الأنفاق التي استخدمت للحركة عبر التل. لاحظت من دون أن أقترب أن البئر ليست مغلقة بالحجارة، فقط مغطاة بقرص خشبي كغطاء. بالتفكير في الأشياء التي ترتبط بها البئر إذا لم تكن تلميحات "بيكمان" بلاغية فقط، سرت القشعريرة في جسدي، ثم التفت لأتبعه وأرتقي درجة لأعلى وأدخل من خلال باب ضيق إلى حجرة متوسطة الحجم، مزودة بأرضية خشبية ومجهزة كمرسم. وأعطى موقد غاز الأسيتيلين الضوء الضروري للعمل.

الصور غير المكتملة على المساند أو بجوار الحوائط مروعة

كمثيلاتها المكتملة أعلى الدَرَج، وأظهرت طريقة الفنان المثابرة. رُسمت المشاهد باعتناء فائق، ووضحت الخطوط الإرشادية التي استخدمها "بيكمان" لتحديد النسب والتناسب دقته الشديدة. كان رجلًا عظيمًا، وأقول ذلك الآن أيضًا بعد أن عرفت هذا القدر من المعلومات. شد انتباهي وجود كاميرا كبيرة على الطاولة، وأخبرني "بيكمان" أنه يستخدمها في تصوير مشاهد الخلفيات، حتى يتمكن من رسمها من الصور الفوتوغرافية في المرسم بدلًا من حمل أدواته عبر المدينة لرسم هذا المشهد أو ذاك. ظن أن الصورة الفوتوغرافية جيدة مثل المشهد الحقيقي أو كنموذج للرسم، وأوضح أنه يستخدم هذه التقنية بانتظام.

بدا أن هناك شيئًا مزعجًا جدًّا بخصوص هذه اللوحات وهذه الوحوش غير المكتملة التي تحدق إليهم من كل جوانب الغرفة، وعندما كشف "بيكمان" لوحة ضخمة بعيدة عن الضوء لم أستطع منع صرختي الثانية لتلك الليلة، تردد صداها عبر الأقبية العتيقة خافتة الضوء، واضطررت إلى أن أكتم فيضانًا من المشاعر التي هددت بالانفجار على شكل ضحكات هستيرية. يا الله الرحيم! لم أستطع يا "إليوت" أن أفرق بين الحقيقة وهلاوس الحمى. لكن لم يبد لي أن الأرض تحتمل حلمًا مثل ذلك.

شاهدت مخلوقًا مارقًا هائلًا لا يوصف له عينان حمراوان غاضبتان، تُمسك مخالبه العظمية بقايا ما كان رجلًا في وقت ما، ويقضم رأسه كما يأكل طفلًا صغيرًا عصا من الحلوى. وقد اتخذ وضعًا منحنيًّا، وعندما تنظر إليه تشعر أنه في أي لحظة سوف يُسقط فريسته

الحالية ويتطلع خلف أخرى لا تزال غضة. تبًا لذلك كله، لم يكن هذا حتى هو الشيء الشيطاني الذي جعل اللوحة منبعًا أبديًا لكل الرعب، لا هذا ولا وجهه الذي يشبه الكلب ولا أذنيه المدببتين، ولا العينين المحتقنين بالدماء، ولا الأنف الأفطس، ولا سيلان اللعاب. لم تكن المخالب الحرشفية ولا الجسد المتعفن ولا القدمين اللتين على شكل نصف حافر، ولا شيء من ذلك كله، على الرغم من أن أيًّا منهم يستطيع بسهولة دفع رجل سهل الإثارة إلى الجنون.

لكنها تقنية الرسم يا "إليوت" هي الملعونة، تقنية غير طبيعية بل وغير تقية. لم أرَ في حياتي كلها في أي مكان آخر أنفاس الحياة الحقيقية متجسدة على لوح رسم. فالوحش كان هناك، محملقًا وهو يقضم الرأس مرارًا وتكرارًا، وعرفت أن تعطيل قانون الطبيعة فقط هو ما يجعل إنسانًا يرسم ذلك من دون نموذج، ومن دون أن ينظر إلى العالم السفلي حيث لم تكسد عملية بيع أي فانٍ للشرير على الإطلاق.

رأيت قصاصة ورق مثبتة على لوح رسم خالٍ بدبوس الأوراق، وحروفها ملتوية لأعلى، ظننتها صورة فوتوغرافية جهزها "بيكمان" ليرسم منها خلفية بشعة مثل كابوس. مددت ذراعي لأفردها وأنظر إليها، حين رأيت "بيكمان" فجأة وكأنه أصيب بطلق ناري. أصغى لما حولنا بدقة منذ أيقظت صرختي أصداء غير معتادة في القبو المظلم، والآن يبدو وكأنه ضُرب بالخوف، لا يقارن بشدة خوفي، الجسدي أكثر من الروحي. سحب مسدسًا وأشار إليّ بالصمت، ثم خرج إلى القبو الرئيس وأغلق الباب خلفه.

أعتقد أنني أُصبت بالشلل للحظة. وبمحاكاة ما فعله "بيكمان" حاولت الإصغاء، تخيلت سماع هرولة خفيضة في مكان ما، وصرخات متعاقبة أو ثغاء في اتجاه لم أستطع تحديده. ظننتها فئران ضخمة وارتجفت. ثم سمعت صوت قعقعة خافت، رغم ذلك فأنا لا أتمكن من إيصال ما أعنيه بالكلمات. مثل صوت سقوط أخشاب ثقيلة على أحجار أو طوب، أخشاب على أحجار! بم يذكرني ذلك؟

سمعت الصوت نفسه ثانية لكن أعلى، مع اهتزازات توحي بأن الخشب وقع بعيدًا جدًّا عمّا سبق. بعد ذلك علا صوت ضوضاء مزعجة، تتضمن صراخ "بيكمان" صرخات غامضة وصوت إطلاق حجرات المسدس الستة الصام للآذان، كما يطلق مروض الأسود النار في الهواء للتأثير فيه. سمعت صراخًا ونعيقًا مكتومًا، ثم ارتطام المزيد من الأخشاب والحجارة، تبع ذلك لحظة صمت، ثم فُتح الباب، وحدقت إليه بعنف. ظهر "بيكمان" من جديد حاملًا سلاحه يخرج منه الدخان، لاعنًا الفئران الممتلئة التي غزت البئر العتيقة.

عبس "بيكمان" قائلًا: "هؤلاء الشياطين يعرفون ماذا يأكلون، اللعنة عليهم، هذه الأنفاق تجاور المقابر ووكر الساحرات وساحل البحر. لكنهم غالبًا أسرعوا متلهفين للخروج. أتخيل أن صرختك أفزعتهم. من الأفضل أن تتوخى الحذر في هذه الأماكن القديمة، فأصدقاؤنا القوارض هم العيب الوحيد للمكان، على الرغم من اعتقادي أنهم مفيدون للجو العام"

حسنا يا "إليوت" انتهت مغامرة تلك الليلة عند ذلك. وعدني

"بيكمان" أن يريني المكان وتشهد السماء أنه فعل ذلك. أرشدني خارج الحارات المتشابكة في الاتجاه الآخر، وبدا عندما شاهدنا عمود إنارة أننا في شارع شبه مألوف تصطف فيه البنايات السكنية الرتيبة والبيوت القديمة. اكتشفت أنه شارع "شارتر" لكنني كنت مضطربًا جدًا لألاحظ أين كنا. تأخرنا كثيرًا على مواعيد وسائل النقل، وسرنا عائدين إلى وسط المدينة عبر شارع "هانوفر". أتذكر تلك التمشية. خرجنا من شارع "تريمونت" إلى شارع "بيكون" وتركني "بيكمان" عند زاوية شارع "جوي"، وبعد ذلك لم أتحدث معه مطلقًا.

لم تركته؟ لا تكن نافد الصبر. انتظر حتى أطلب القهوة، فقد شربنا ما يكفي من المشروبات الأخرى، والآن أنا في حاجة شديدة إلى القهوة. لا ليست اللوحات التي رأيتها هناك هي السبب، على الرغم من أنها سبب كافٍ لتجعله منبوذًا في تسعة أعشار المنازل والنوادي في بوسطن، وأظنك بت تعرف لم أتجنب قطار الأنفاق والأقبية. أما السبب فهو ما وجدته في صباح اليوم التالي في جيب معطفي. هل تتذكر الورقة المطوية لأعلى المثبتة في لوح الرسم بالقبو؟ التي تخيلت أنها صورة فوتوغرافية لمشهد يستعين به "بيكمان" في رسم خلفية لوحة الوحش. أمّا الرعب في نهاية المطاف فعندما مددت يدي لأفتحها، أظن أنني وضعتها في جيب معطفي من دون أن أشعر. جاءت القهوة، إن كنت حكيمًا يا "إليوت" فلتشربها داكنة.

نعم تلك الورقة هي السبب في هجري "بيكمان"، "ريتشارد أبتون بيكمان" أعظم فنان عرفته على الإطلاق، وأبغض كائن عَبَر حدود الحياة إلى هوة الخرافة والجنون. أتعرف يا "إليوت" العجوز "ريد"

على حق. لم يكن "بيكمان" بشريًا بشكل كامل. فإما إنه ولد في ظل غريب، وإمّا أنه وجد طريقة لفتح البوابة المحرمة. كل ذلك سيان الآن فقد رجع إلى الظلمة الخلابة التي يفضل مطاردتها. الآن لنضيء الأنوار.

لا تطلب مني أن أشرح أو حتى تُخمن ماذا أحرقت. ولا تطلب أن تعرف ما أخفاه "بيكمان" خلف ما ادعى أنهم فئران. فهذه الأسرار القادمة من "سالم" القديمة، وقد قص "كوتن ميذر" حكايات أغرب من ذلك. أنت تعرف كم هي ملعونة الحياة مثل لوحات "بيكمان"، وكيف تعجبنا جميعًا من أين حصل على هذه الوجوه.

حسنًا، لم تكن الورقة صورة فوتوغرافية لأيّ خلفية. ببساطة ظهر في الصورة الوحش الذي رسمه "بيكمان" على اللوحة الملعونة. النموذج الذي استعان به في الرسم، والخلفية هي فقط حائط مرسم القبو واضحة التفاصيل بمنتهى الدقة. والله يا "إليوت" كانت صورة فوتوغرافية حقيقية من الحياة.

أحلام في منزل الساحرة

هـ. ف. لافكرافت

هل تسببت الأحلام في أعراض حمى أم إن الحمى هي التي أثارت الأحلام، هذا ما لم يتبينه "والتر جيلمان". خلف كل شيء قبع رعب المدينة الكئيب المتقيح المتأجج، والعلية المتعفنة غير المقدسة ذات السقف المائل، حيث كتب ودرس وصارع الأرقام والمعادلات في الوقت الذي لم يمضه متململًا على السرير الحديدي المتواضع. صارت أذناه أكثر حساسية إلى حد خارق للطبيعة وغير محتمل حتى أنه قد تخلى عن ساعة الرف الرخيصة التي شابه صوتها رعد المدفعية. في المساء صوت نشاط المدينة السوداء الطفيف بالخارج -وهرولة الفئران الشريرة داخل قواطع الحوائط الملتوية وصرير الأخشاب الخفية في المنزل الذي جاوز عمره قرنًا- يشبه الاستماع إلى الموسيقى الصاخبة. يزخر الظلام دائمًا بأصوات غير مفسرة، لكنه في الوقت نفسه، يرتجف خوفًا خشية أن تخبو الضوضاء التي يسمعها مما يسمح له بسماع أخرى أكثر خفوتًا، ضوضاء يشعر بها تكمن خلفه.

عاش في مدينة "أرخام" التي لا تتغير وهي مسكونة بالأساطير، بتجمعات أسقفها منحدرة الجوانب أعلى العليات، حيث اختبأت الساحرات في الظلام من رجال الملك في الأيام الخوالي للمدينة. لم تكن هناك بقعة في المدينة أكثر غرقًا في الذكرى المروعة من الحجرة ذات السقف المائل التي تأويه، آوت هذه الغرفة ذاتها وهذا

المنزل "كُزايا ميسون" العجوز التي هربت من (سجن "سالم") بطريقة لم يستطع أحد تفسيرها في عام ١٦٩٢، جن جنون السجان وثرثر قليلًا عن شيء ذي فراء أبيض وأنياب زحف مسرعًا من زنزانة "كُزايا"، حتى "كوتن ميذر" نفسه لن يستطيع تفسير السائل الأحمر اللزج الذي لطخ الحوائط الرمادية الحجرية على شكل زوايا وانحناءات.

ربما لم ينبغ لـ"جليمان" أن يدرس بجد. فعلم الهندسة اللاإقليدية وفيزياء الكم كافيان لتوسيع المدارك. وعند مزجهما بالتراث الشعبي ومحاولة تتبع الخلفية الغريبة للواقع متعدد الأبعاد وراء التلميحات الخبيثة للحكايات القوطية والهمسات الوحشية قرب المداخن القديمة، يكاد المرء لا يتوقع أن يخلو من التوتر العقلي.

جاء "جليمان" من "هايفريل"، لكنه بدأ في مزج علم الرياضيات بالأساطير الخيالية للسحر القديم فقط عندما التحق بالجامعة في "أرخام". شيء ما في المدينة العتيقة أثر بشكل غامض في خياله. حثه الأساتذة في "ميسكاتونيك" على التمهل وتطوعوا لتخفيف مقرراته الدراسية في مواضع متعددة. علاوة على ذلك منعوه من الاسترشاد بالكتب المشبوهة عن الأسرار المحظورة المحفوظة بعناية في قبو مكتبة الجامعة. لكن جاءت كل هذه الاحتياطات متأخرة، فقد وجد "جليمان" ملاحظات مفزعة من كتاب "العزيف" المرعب لمؤلفه "عبد الله الحظرد"، وأجزاء من "كتاب إيبون"، وكتاب "العبادة غير المنطوقة " الممنوع لـ"فون جونزيتيه"(13) ليربطها بملخصات معادلاته عن خصائص الفضاء والأبعاد المعلومة وغير

المعلومة.

عرف أن حجرته تقع في منزل ساحرة عجوز، وقد اختارها لذلك السبب بالفعل، تحتوي سجلات قضاء مقاطعة "ايسيكس" الكثير عن محاكمة "كُزايا ميسون"، وقد فتنه -بلا تفسير- ما اعترفت به تحت ضغط محكمة الاستماع والحكم. دلت القاضي "هاثورن" على الخطوط والمنحنيات التي تُرسَم لتُرشد إلى الفراغات والأماكن عبر الحوائط وما وراءها، وتضمن اعترافها أن هذه الخطوط والمنحنيات استخدمت بكثرة خلال اجتماعات منتصف الليل في الوادي المظلم عند الحجر الأبيض وراء تل "ميادو" والجزيرة المهجورة في النهر. تحدثت أيضًا عن الرجل الأسود وعن قَسَمها واسمها السري الجديد "ناهاب"، ثم رسمت الخطوط والمنحنيات على جدران زنزانتها واختفت.

صدق "جليمان" الأشياء الغريبة عن "كُزايا" وشعر بحماسة غير مألوفة لمعرفة أن منزلها ما زال موجودًا بعد أكثر من مئتين وخمسة وثلاثين عامًا. صمم أن يقطن في هذا المكان بأي ثمن عندما سمع الهمسات الخافتة عن حضور "كُزايا" المستمر في المنزل القديم والشارع الضيق، وعن آثار الأسنان البشرية غير المنتظمة التي تظهر على أجساد بعض النائمين في هذا المنزل وغيره، وعن الصرخات الطفولية المسموعة قرب عشية الاحتفال بيوم "بيلتين" (14) ويوم عيد جميع القديسين، وعن الرائحة الكريهة الملحوظة غالبًا في علية المنزل القديم بعد هذه المواسم المفزعة مباشرة، وعن الشيء الصغير ذي الفراء الأبيض والأسنان الحادة الذي يسكن المباني

المتعفنة في المدينة ويدغدغ الناس في الساعات المظلمة قبل الفجر.

من السهل الحصول على غرفة فالمنزل لا يحظى بشعبية كبيرة وصعب التأجير، كما أن أولوية إقبال المستأجرين على المساكن منخفضة التكلفة.

لم يخبر أحد "جليمان" بما قد يتوقع أن يجده هناك، لكنه أيقن أنه يريد أن يعيش في البناية التي منحت فيها الظروف فجأة لعجوز عادية من القرن السابع عشر نظرة على أعماق علم الرياضيات، أكثر من أحدث أعظم الدارسين المتعمقين مثل "بلانك" و "أيزنبرج" و"أينشتاين" و"دي سيتر".

فحص "جليمان" الأخشاب والحوائط المصنوعة من الجص عند كل بقعة يمكن الوصول إليها وفي الأماكن التي تقشرت عنها أوراق الجدران، باحثًا عن آثار تصميمات خفية، وفي خلال أسبوع تمكن من الوصول إلى حجرة العلية الشرقية حيث مارست "كُزايا" تعويذاتها. كانت الغرفة خالية -فلم يرد أحد أن يظل هناك مدة طويلة- وظل المالك البولندي حذرًا في تأجيرها. على الرغم من ذلك لم يحدث شيء لـ"جليمان" حتى أصابته الحمى. لم ير شبح "كُزايا" يطير عبر القاعات والحجرات الكئيبة، ولم يتسلل الشيء الصغير ذو الفراء إلى عليته الموحشة ليدغدغه، ولم يجد حتى سجلًا لتعويذات الساحرة كمكافأة له على بحثه المتواصل. أحيانا يتمشى عبر الحارات المتشابكة المظلمة غير الممهدة التي تفوح برائحة العطن حيث البيوت البنية المرعبة مجهولة العمر تتمايل وتترنح وتنظر إليه نظرة

ثاقبة ساخرة عبر نوافذها الزجاجية الصغيرة. هناك عرف أن أشياء غريبة حدثت ذات مرة، وبدر احتمال ضعيف ألا يكون ذلك الماضي الوحشي-على الأقل في الحارات الأكثر ظلامًا وضيقًا، والملتوية بشكل معقد- قد فني تمامًا. ذهب "جليمان" بالقارب مرتين إلى الجزيرة المعزولة في النهر ووضع رسمًا تخطيطيًا لزواياها الغريبة المحاطة بصفوف الصخور الرمادية المكسوة بالطحالب، المُمْعنة في القدم وغامضة المنشأ.

أما حجرة "جليمان" فذات مساحة مناسبة لكنها غير منتظمة الشكل؛ يميل الحائط الشمالي إلى الدَّاخل بشكل ملحوظ، في حين أن السقف المنخفض يميل تدريجيًا في الاتجاه نفسه، علاوة على جحر للفئران وعلامات على محاولات سده، أما غير ذلك فلا يوجد منفذ -ولا أية مظاهر تدل على وجود سابق لمنفذ- إلى الفراغ المتوقع وجوده بين الحائط المائل وحائط المنزل الخارجي الشمالي المستقيم، وعند النظر إلى المنزل من الخارج يتضح وجود نافذة مغطاة بألواح منذ زمن بعيد، كما لا يمكن الوصول إلى الغرفة العلوية فوق السقف التي يجب أن تكون بالمثل ذات أرضية مائلة. عندما ارتقى "جليمان" الدَرَج للغرفة العلوية المحاطة بنسيج العنكبوت فوق باقي العلية، وجد بقايا فتحة مهجورة مغطاة بحرص بألواح خشبية ومؤمنة بأوتاد سميكة بطريقة اشتهرت بها نجارة المباني داخل المستعمرات. لكنه لم يجد سبيلًا إلى إقناع المالك عديم الإحساس بتركه يتقصى ويكتشف هذين الفراغين المغلقين.

بمرور الوقت ازداد استيعابه لسقف حجرته وحوائطها غير

المنتظمة؛ همَّ بدراسة الدلالات الرياضية للزوايا الغريبة والغرض من وجودها. جال بخاطره أن للعجوز "كُزايا" سببًا وجيهًا للعيش في حجرة غريبة الزوايا، ألم يدّعوا أنها خرجت من حدود العالم الذي نعرفه عبر زوايا مشابهة؟ تدريجيًا، حاد اهتمامه بعيدًا عن الفراغات وراء الأسطح المائلة حين ظهر أنها ذات صلة بالجانب الذي يوجد هو فيه بالفعل الآن.

مع بداية شهر فبراير بدأت الحمى والأحلام. لبعض الوقت بدا أن لزوايا حجرة "جليمان" الغامضة تأثيرًا قويًا فيه أشبه بالتنويم الإيحائي، ومع قدوم الشتاء الكئيب وجد أنه يطيل التحديق عن قصد إلى مكان التقاء السقف المائل لأسفل مع الحائط المائل للداخل. في هذه الفترة أقلقه عدم قدرته على التركيز في دراسته الأساسية وتَرقَب امتحانات منتصف العام بقلق زائد، ولم تعد تزعجه حساسية حاسة سمعه المفرطة، فقد تحولت الحياة كلها إلى موسيقى مخيفة متنافرة النغمات، مع استمرار وجود الوقع المخيف لأصوات أخرى- ربما يرجع مصدرها إلى ما هو أبعد من هذه الحياة- تصيبه برجفه مع كل نغمة، وعلى الرغم من شدة قسوة هذه الضوضاء، كانت الفئران خلف الحواجز القديمة هي الأسوأ.

أحيانا لم تكن خربشاتهم فقط ماكرة بل متعمَدة ومدروسة؛ حين تصدر الخربشات من خلف الحائط الشمالي المائل تأتي مصحوبة بقعقعة جافة، أما عندما تأتي من الحجرة العلوية أعلى السقف المائل - والمغلقة منذ قرن من الزمان- فيستعد "جليمان" لرعب يوشك أن يبتلعه تمامًا.

لم تدل أحلامه على سلامة عقله، وأيقن "جليمان" أن السبب هو خلط علم الرياضيات بالتراث الشعبي، فكر كثيرًا في المناطق الغامضة التي استنتجت معادلاته وجودها وراء الأبعاد الثلاثة المعروفة، وفكر في احتمالية أن العجوز "كُزايا ميسون" وجدت بوابة العبور إلى تلك المناطق الغامضة عن طريق تلقي العون من سلطة عليا تعدت كل تخميناته.

تحتوي سجلات البلدة القديمة على شهادة "كُزايا" وشهادة متهِميها بحدوث أشياء خارقة للطبيعة البشرية، كما تحتوي على وصف تفصيلي للشيء الصغير ذي الفراء الذي يُعتقد أنه الجني النصير(15) لها.

بدا أن ذلك الشيء -الذي لا يزيد حجمه عن فأر متوسط ويطلق عليه أهل البلدة "جينكن البني"- هو نتاج وهم جماعي، فقد شهد برؤيته ما لا يقل عن أحد عشر شخصًا في عام ١٦٩٢. كما سرت شائعات محفوفة بالقلق والحيرة عن شكله؛ قال الشهود إن له شكل فأر طويل الشعر وحاد الأسنان، أما وجهه ذو اللحية فقد كان بشريًا شريرًا، كما أن مخالبه بدت كأيدٍ بشرية بالغة الصغر، وصوته مشابه للضحكات البغيضة ويستطيع التكلم بكل اللغات. كان يوصل الرسائل بين العجوز "كُزايا" والشيطان، ويتغذى على دماء الساحرة التي يمتصها مثل مصاص دماء.

من بين كل أحلام "جليمان" العجيبة لم يصبه بهلع وغثيان سوى ذلك الهجين المارق متناهي الصغر، حتى صار يراه في مخيلته أبشع ألف مرة مما استنتج عقله من السجلات القديمة أو الهمهمات

الحديثة.

تضمنت أحلام "جليمان" غرقه في لجة لا نهاية لها، ملونة بألوان الشفق ولها صوت مضطرب محير، ومكونة من مادة لم يستطع شرح خصائصها. لم يَسِر أو يتسلق، لم يطر أو يسبح، لم يزحف أو يتلوَ، إنما اختبر نوعًا من الحركات الإرادية واللا إرادية. لم يستطع الحكم الجيد على حالته فقد كان يرى أطرافه مبتورة وجذعه مقطعًا في مشهد مربك، لكنه شعر بأن أنظمته البدنية ومقدرته العقلية أعادت إنبات بعض أجزاء جسده بطريقة إعجازية، لا تخلو من البشاعة مقارنة بنسب جسده الأصلية.

لم تكن اللجة فارغة بأي شكل من الأشكال، بل مزدحمة بكتل مدببة مكونة من مادة ملونة بلون غريب، بدا بعضها عضويًا وبعض آخر غير عضوي. بعض الأجزاء العضوية أيقظت ذكريات غامضة في عقله الباطن، لكنه لم يتوصل إلى فكرة واعية تشبه تلك الذكرى في الحقيقة. لاحقًا في أحلامه بدأ يميز إلى أي فئة تنتمي الأجسام العضوية ويقسمها إلى مجموعات مختلفة في دوافعها وأنماط سلوكها، بدت له إحدى الفئات تحتوي على أشياء أكثر منطقية في سلوكها عن الأخرى.

الأجسام كلها -عضوية وغير عضوية- تفوق الفهم والوصف، شبّه "جليمان" أحيانًا الأجسام غير العضوية بالمخاريط والمتاهات ومجموعات من المكعبات والمناشير الزجاجية والمسطحات والمباني غير منتظمة الأشكال، والأجسام العضوية بمجموعات من الفقاعات والأخاطيب والكائنات اللا فقارية والأصنام الهندوسية،

كما رأى زخارف عربية معقدة ذات حركات أفعوانية. شعر بالتهديد والفزع من كل ما رأى، كثيرًا ما شمله الخوف إذا ظهر من حركة أحد الكيانات العضوية أنه لاحظ وجوده، حتى كاد يهب مستيقظًا من الرعب.

لم يعرف كيف تحركت الكيانات، فهو لا يعرف الكثير عن حركته هو شخصيًا. مع الوقت لاحظ ألغازًا أكثر غموضًا مثل قابلية بعض الكيانات على الظهور فجأة من الفراغ، أو بالمثل الاختفاء فجأة. الصياح والزئير والأصوات المبهمة التي تتخلل اللجة أبعد من كل تفسيرات النغمات ونوعية الصوت والإيقاع، لكنها بدت متناغمة مع التغير الغامض المرئي في الأشياء الموجودة في اللجة.

شعر "جليمان" دومًا بالرهبة التي فاقت احتماله في أثناء تقلباته المزاجية التي اعترته بلا هوادة.

لم ير "جليمان" "جينكن البني" في تلك الدوامات الغريبة. ذلك الرعب الصغير المروع ظل حصريًا لأحلام أكثر حدة هاجمته قبل مرحلة النوم العميق. قد يظل مستلقيًا في الظلام يكافح حتى يبقى مستيقظًا ثم يغمر الحجرة العتيقة وهج متلألئ يُظهر خلال ضباب بنفسجي تلاقي مسطحات وأشكال مدببة يشعر بها تتحكم في عقله. قد يظهر "جينكن" المرعب فجأة من جحر الفئران في الزاوية ثم يعدو تجاهه عبر الأرضية الخشبية المترهلة بوجهه الآدمي الملتحي الشرير، لكن من الرحمة أن تلك الأحلام دائمًا تتبخر قبل أن يتمكن هذا الشيء من الاقتراب لدغدغته. حاول "جليمان" يوميًا أن يسد فتحة جحر الفئران، وفي كل ليلة يقرض الفئران -السكان الأصليون

للحجرة- العوائق التي وضعها أيًا كان نوعها. في إحدى المرات جعل المالك يثبت صفيحة من القصدير بالمسامير ليسد الفتحة، وفي الليلة التالية قرضت الفئران حفرة جديدة وأخرجوا منها للحجرة قطعًا صغيرة من العظام الغريبة.

لم يخبر "جليمان" طبيبه عن الحمى لأنه علم أنه لن يستطيع اجتياز الاختبارات إذا أمره الطبيب بالذهاب إلى مستشفى الجامعة، فهو يدرك أهمية كل لحظة من أجل تحقيق هدفه. غير أنه رسب في حساب التفاضل والتكامل، وفي علم النفس العام المتقدم، على الرغم من ذلك لديه أمل في تعويض ما فاته قبل نهاية الفصل الدراسي.

مع حلول شهر مارس بدأت عناصر جديدة بالظهور في أحلامه البدائية، وصاحب وجود "جينكن البني" في كوابيسه ضباب غامض نمى تدريجيًا ليشبه امرأة منحنية. أزعجته هذه الإضافة أكثر من قدرته على التفسير، لكنه في النهاية قرر أنها تشبه عجوزًا شمطاء صادفها في الظلام في إحدى الحارات بالقرب من أرصفة الميناء المهجور. جعلته نظرة العجوز الشريرة المتهكمة يرتجف في المواقف التي رآها فيها وخصوصًا في المرة الأولى، وحين يندفع فأر خارج إحدى الحارات المظلمة دفعه للتفكير في "جينكن البني". أما الآن فانعكست تلك المخاوف على أحلامه المضطربة.

لم يستطع "جليمان" أن ينكر التأثير المؤذي للمنزل القديم، لكن بقايا اهتماماته الأولى احتجزته هناك. زعم أن الحمى وحدها هي سبب أوهامه المسائية، وعندما يتعافى سوف يصبح حرًا من الرؤى

الوحشية. تلك الرؤى البغيضة التي يستيقظ منها ليشعر أنها أقسى أكثر مما يتذكر. أيقن أنه -في الأحلام التي لا يتذكر محتواها- تحدث مع العجوز ومع "جينكن البني"، وأنهما حثاه على الذهاب إلى مكان ما لمقابلة كائن ثالث يمتلك قوة أعظم.

بحلول نهاية شهر مارس استعاد تركيزه في علم الرياضيات. على عكس المواد الأخرى، امتلك "جليمان" موهبة في حل المعادلات الريمانية(16) وأدهش أستاذه "أبهام" باستيعابه للأبعاد الرباعية والمسائل الحسابية التي هزمت بقية زملائه. في إحدى الأمسيات دار نقاش عن الانحناءات الفضائية العجيبة وعن نظريات التواصل بين الجزء الخاص بنا من الكون والمناطق الأخرى البعيدة بعد النجوم والثغرات عبر المجرة نفسها، بل وحتى أبعد من العوالم الممكن تصورها بحسب نظريات "أينشتاين". أثار "جليمان" إعجاب الجميع باستيعابه لكل هذه النظريات حتى أن شرحه وتوضيحه لبعضها أسهم في نشر المزيد من الشائعات حول عزلته الغريبة. أما ما أثار حنقهم فهي نظريته التي ادعى فيها أن الإنسان -إذا اكتسب المعرفة الرياضية الكاملة الأشمل من المعروفة لدى الجميع في ذلك الوقت- يستطيع أن ينتقل بإرادته من الأرض إلى أي جسم سماوي آخر في أي مكان من الكون اللا نهائي.

تحتاج هذه الخطوة -من وجهة نظره- إلى مرحلتين، الأولى هي وجود ممر للخروج من الكرة ثلاثية الأبعاد التي نعرفها، والأخرى هي ممر للعودة عند نقطة مختلفة، ربما تبتعد عن الأولى بعدًا غير محدود. إمكانية حدوث ذلك من دون خسارة الحياة مقنعة في

الكثير من الحالات؛ فأي كائن من أي مكان في الفضاء ثلاثي الأبعاد يستطيع غالبًا أن يبقى على قيد الحياة في البعد الرابع، ونجاته في المرحلة الثانية تعتمد على الجزء المختلف الذي اختاره من الفضاء ثلاثي الأبعاد للرجوع مرة أخرى. قد يستطيع سكان أحد الكواكب الحياة في كواكب أخرى حتى إذا كانت تنتمي لمجرات مختلفة، أو إلى مراحل مماثلة الأبعاد في زمكان(17) مختلف. على الرغم من ذلك من المؤكد وجود عدد ضخم من الأجسام والمناطق الفضائية غير الصالحة للسكن حتى وإن بدت -رياضيًا- متجاورة.

كما أنه من المحتمل أن الأماكن غير الصالحة للسكن في بعد معين تستطيع استقبال مخلوقات غير معروفة وغير مفهومة من أبعاد أخرى للزمكان، والعكس صحيح. كانت مجرد تكهنات على الرغم من اقتناع بعض بأن نوع الطفرة التي تحدث عند المرور من بعد في مستوى معين إلى بعد أعلى لن تكون مدمرة للطبيعة البيولوجية التي نعرفها. لم يستطع "جليمان" أن يوضح سبب هذا الاستنتاج الأخير فغلب عليه الغموض على الرغم من توضيحه لجوانب أخرى معقدة. أعجب الأستاذ "أبهام" بتوضيحه العلاقة بين علم الرياضيات ومراحل معينة من علوم السحر المتوارثة عبر العصور -الإنسانية أو ما قبل ظهور الإنسان- فمعرفتهم بالكون فاقت ما نعرفه.

قرابة بداية شهر أبريل قلق "جليمان" لعدم تراجع الحمى، كما انزعج من حديث زملائه المستأجرين عن سيره في أثناء النوم، فهو غالبًا غير موجود في فراشه وتصدر أرضية حجرته صريرًا في ساعات معينة من الليل حسب تعليقات الساكن في الطابق أسفله،

وتحدث الساكن نفسه أيضًا عن صوت خطوات تنتعل حذاءً في أثناء الليل لكن "جليمان" متأكد أن جاره مخطئ لأنه يجد الأحذية والثياب الأخرى دائمًا في أماكنها في الصباح. من السهل أن يصاب المرء بكل أنواع الهلاوس السمعية في هذا المنزل القديم الكئيب، ألم يشعر "جليمان" نفسه بأن هناك ضوضاء أخرى غير أصوات خربشة الفئران قادمة من الفراغ الأسود خلف الحائط المائل وأعلى السقف؟ بدأت أذناه -الحساستان بشكل مرضي- في سماع وقع أقدام في الغرفة العلوية المغلقة منذ زمن سحيق، وأحيانًا يبدو هذا الخداع السمعي حقيقيًا بشكل مزعج.

مع ذلك، علم "جليمان" أنه أصبح بالفعل يسير في أثناء نومه؛ حيث وجدت حجرته فارغة مرتين خلال الليل، مع وجود كل أغراضه في أماكنها، وقد أكد ذلك "فرانك إلوود"، زميله الطالب الذي أجبره الفقر على السكن في حجرة في هذا المنزل القذر الذي لا يحظى بشعبية كبيرة. كان "إلوود" يدرس واحتاج إلى مساعدة "جليمان" ثم صعد له ليجده غائبًا عن حجرته. تجرأ "إلوود" ليفتح الباب المغلق بعد أن طرقه بلا إجابة، لكنه احتاج إلى المساعدة بشدة وظن أن مضيفه لن يمانع أن يوكزه بلطف لإيقاظه. لم يوجد "جليمان" في حجرته وعند إخباره لاحقًا بما حدث تعجب، أين سار متجولًا حافي القدمين مرتديًا فقط ملابسه الليلية.

عزم على التقصي لمعرفة ما يحدث؛ فرش أرضية الردهة بالدقيق حتى يرى إلى أين تذهب آثار قدميه، الباب هو المخرج الممكن الوحيد فلا يوجد موطئ لقدم خارج النافذة الصغيرة.

مع مرور أيام شهر أبريل أُزعجت أذناه الحساستان بأنين صلوات "جو مازورويتش" مصلح الأنوال المؤمن بالخرافات الساكن في الحجرة في الطابق الأول. قص "مازورويتش" حكايات طويلة غير مترابطة عن شبح "كُزايا" والشيء ذي الفراء والأنياب الذي يصاحبها، وأن فقط صليبه الفضي هو الذي أنقذه منهما، فقد أعطاه إياه الأب "إيوانيكي" من كنيسة القديس "ستانيسلوس" للسبب ذاته. يصلي الآن خوفًا من اقتراب "سبت الساحرات" وليلة "فالبورجيس"(18) ويوم "بيلتين" الوثني، موعد تجول قوى الشر في الأرض وتجمع كل خدام الشيطان لممارسة طقوسهم وشعائرهم الشريرة. ذلك الوقت من أتعس الأوقات في "أرخام"، حتى ادعى القوم في جادة "ميسكاتونيك" وشوارع "سالتونستال" عدم معرفتهم بأي شيء عن تلك المناسبات. عادة ما تحدث الكثير من الممارسات الشريرة كما يُفقد طفل أو اثنان على الأقل. سمع "جو" تلك الحكايات من جدته التي تقطن في البلدة القديمة، تناقلتها هي الأخرى عن جدتها. لذلك من الحكمة أن يصلي ويُسبّح طوال هذه المواسم. أما "كُزايا" و"جينكن البني" فظلا بعيدين عن غرفتي "جو" و"بول" لمدة ثلاثة أشهر وهذا غير مبشر فهما غالبًا يرتبان لشيء ما.

زار "جليمان" الطبيب في السادس عشر من شهر أبريل، وتفاجأ بأن درجة حرارته ليست مرتفعة كما توقع. سأله الطبيب عدة أسئلة ثم نصحه باستشارة طبيب مختص في الأعصاب. كان "جليمان" مقدرًا وشاكرًا أنه لم يستشر طبيب الجامعة الفضولي "والدرون" العجوز- ذاك الذي قلص مقرراته وأنشطته سابقًا- حتى لا يجبره على

الراحة وهو أمر مستحيل فقد أوشك على تحقيق نتائج عظيمة في معادلاته، اقترب من الحدود بين العالم المعروف والبعد الرابع، ومن يدري إلى أي مدى يستطيع الوصول؟

تعجب عندما راودته تلك الأفكار من أين جاءت هذه الثقة الغريبة، فهو يشعر بالخطر الوشيك بسبب المعادلات التي يدرسها يوميًا، كما أثارت الخطوات الناعمة الخفية في الحجرة العلوية المغلقة قلقه. والآن يتملكه شعور أن هناك من يقنعه بفعل رهيب لا يستطيع تنفيذه. ماذا عن سيره في أثناء النوم؟ أين يذهب في المساء؟ وماذا عن الأصوات غير الواضحة التي تتسلل لتربكه حتى في وضح النهار وأوقات الصحو؟ لا يتشابه إيقاعها مع أي شيء على الأرض إلا ترنيمة أو اثنتين من ترانيم الساحرات التي لا يصح ذكرها، وشعر أحيانًا أنها تشبه الصيحات الغامضة الصادرة عن اللجة في أحلامه.

صارت الأحلام أبشع في هذه الفترة، في بداية الحلم تحولت العجوز إلى كيان شيطاني، وعرف "جليمان" أنها من أخافته في حارات الأحياء الفقيرة؛ لا يستطيع أن يُخطئ ظهرها المنحني وأنفها الطويل وذقنها الرفيع، كما تذكر ملابسها البالية بنية اللون. تراوحت تعبيرات وجهها بين الحقد الخبيث والابتهاج غير المفسر، وعند استيقاظه تذكر صوتًا أجش يهدده ويغويه. عليه أن يقابل الرجل الأسود ويذهب معهما إلى عرش "أزاثوث"(19) في مركز ذروة الفوضى. هذا ما قالته العجوز، وأن يوقع كتاب "أزاثوث" بدمه ويحصل على اسم سري جديد. أما ما منعه من الذهاب معهم إلى العرش -حيث تعزف المزامير بلا اكتراث- فلأنه رأى اسم "أزاثوث"

في كتاب "العزيف" وعرف أنه يرمز إلى الشر البدائي شديد الرعب.

ظهرت العجوز في معظم المرات من الهواء الخفيف بجوار التقاء الحائط والسقف المنحنيين، بدت كأنها تتبلور في نقطة أقرب للسقف منها للأرضية، وفي كل ليلة تقترب وتتضح أكثر قبل أن يتبدل الحلم. اقترب منه "جينكن البني" أيضًا قبل نهاية الحلم وصارت أنيابه البيضاء المصفرة تلمع بصورة صادمة في الوهج البنفسجي الفسفوري الغريب. التصقت ضحكاته البغيضة في ذهن "جليمان" حتى أنه تذكر في الصباح طريقة نطقه "أزاثوث" و"نيارلاثوتاب"(20).

خلال الأحلام العميقة اختلف كل شيء، شعر "جليمان" أن اللجة حوله تنتمي للبعد الرابع. تلك الكيانات العضوية ذات الحركات الغريبة ترمز غالبًا إلى أشكال الحياة على كوكبنا ومنها الإنسان. لكنه لم يجرؤ على التفكير في كينونة بقية الأجسام. بدا أن اثنين من الأجسام المتحركة -كتلة كروية كبيرة تبدو كفقاعة ملون بألوان قوس قزح وأخرى أصغر حجمًا متعددة الأسطح غير محددة الألوان- لاحظا وجوده وتتبعاه حين غيّر موقعه حول أشكال المناشير الزجاجية والمتاهات والمكعبات داخل اللجة، وطوال الحلم تعلو أصوات الصراخ والزئير حتى تصل إلى ذروة وحشية غير محتملة.

تطورت الأحلام خلال ليلة التاسع عشر وليلة العشرين من أبريل، صارت حركة "جليمان" في اللجة لا إرادية جزئيًا وحوله الكتلتان -الفقاعة الكبيرة والأخرى متعددة الأسطح- ثم لاحظ وجود زوايا غير مألوفة لبعض المناشير الزجاجية العملاقة، في اللحظة التالية

وجد نفسه خارج اللجة يقف مرتعشًا على تلة صخرية غارقة في ضوء أخضر حاد، مرتديًا ملابسه الليلية وحافي القدمين، وعندما حاول المشي وجد أنه بصعوبة يستطيع رفع قدميه. غطى الضباب كل شيء ما عدا السطح المنحدر، وارتعب من مجرد تخيل الأصوات المحتمل أن تصدر من هذا الضباب.

رأى "جليمان" خيالين يقتربان منه، تبين أنهما المرأة العجوز والكائن الصغير ذو الفراء. جثت العجوز على ركبتيها وعقدت ذراعيها بطريقة غريبة، أما "جينكن البني" فأشار بصعوبة بمخلبه الأمامي المرعب في اتجاه معين. وجد "جليمان" نفسه منجذبًا من دون إرادته إلى الاتجاه الذي حدده ذراعا العجوز وإشارة الوحش الصغير. التفت حوله بعض الأشكال الهندسية فشعر بالدوار. في النهاية استيقظ في فراشه في علية المنزل القديم المرعب.

لم يستطع أن يفعل شيئًا في الصباح، ولم يذهب إلى أي من صفوفه، شيء ما يجذب انتباهه بعيدًا، ولم يستطع مقاومة التحديق إلى بقعة معينة في الأرضية. مع مرور الوقت تحولت نظرته -التي لا تبصر شيئًا- إلى بقعة أخرى وبحلول الظهيرة كان يحدق إلى الفراغ. في الساعة الثانية خرج ليتناول الغَداء، وفيما هو يشق طريقه بحذر خلال ممرات المدينة، وجد نفسه يتجه رغمًا عنه دائمًا للجنوب الشرقي. شعور ما أوقفه عند مقهى في شارع الكنيسة، وبعد تناول غدائه اختبر ذلك الشعور الذي جذبه بقوة أكبر.

من المفترض أن يستشير طبيبًا مختصًا في الأعصاب، عله يجد سببًا لسيره في أثناء النوم، لكن في ذلك الوقت حاول كسر اللعنة

بنفسه. لم يشك في قدرته على التغلب على القوة التي تجذبه لذلك تحرك عمدًا بثبات في اتجاه الشمال عبر شارع "جاريسون". وعندما وصل إلى الجسر فوق "ميسكاتونيك" كان عَرَقه باردًا، تشبث بالحواجز الحديدية بينما نظر أعلى المجرى المائي نحو الجزيرة المهجورة تحت أشعة شمس ما بعد الظهيرة.

فزع "جليمان" حين رأى حركة كائن حي على الجزيرة المهجورة، وعندما أمعن النظر تأكد أنها المرأة العجوز، التي وجد جانبها الشرير طريقًا إلى أحلامه. العشب الطويل بجانبها تحرك أيضًا كأن كائنًا آخر يزحف بالقرب من الأرض. عندما التفتت المرأة نحوه، هرب سريعًا على الجسر ليحتمي في حارات واجهة المدينة البحرية المتعرجة كالمتاهة. وبرغم ابتعاد الجزيرة ظل يشعر أن الشر الوحشي الذي لا يقهر يستطيع الطيران خلفه من النظرة المتهكمة للعجوز المنحنية بُنية الملابس.

الشعور بالجذب لجهة الجنوب الشرقي ما زال موجودًا، استطاع "جليمان" بعزم وتصميم كبيرين أن يسحب نفسه إلى المنزل القديم ويصعد السلالم المتهالكة. جلس لساعات صامتًا وبلا هدف، وعيناه تتحركان تدريجيًا في اتجاه الغرب. في الساعة السادسة تقريبًا التقطت أذناه الحساستان أنين صلوات "جو مازورويتش" على بعد طابقين أسفله. وفي يأس ارتدى قبعته وخرج تحت أشعة شمس الغروب تاركًا الشعور الجاذب للجنوب ليحمله أينما يشاء. وبعد مرور ساعة وجد نفسه في الظلام في الساحة خلف نهر "هانجمان" الصغير، تحت بريق نجوم الربيع اللامعة. الشعور المُلح بالمشي تحول

تدريجيًا إلى رغبةٍ روحانية في الوثب نحو الفضاء، وفجأة عرف مصدر ذلك الشعور.

السماء هي المصدر. نقطة بعينها بين النجوم كانت تدعوه. من الواضح أنها في مكان ما بين كوكبة "السفينة" وكوكبة "الشجاع"(21)،وعرف أنه دُفع نحوها منذ استيقظ بعد الفجر. في الصباح نقطة الجذب في الأسفل، بعد الظهيرة صارت في الأعلى في اتجاه الجنوب الشرقي، أما الآن فأصبحت في اتجاه الجنوب وتتحرك ناحية الغرب. ما معنى هذه المستجدات؟ هل جُن؟ إلى متى تستمر؟ من جديد عزم أمره وجذب نفسه في اتجاه المنزل القديم الشرير.

انتظره "مازورويتش" عند الباب، وبدا أن الاثنين قلقان من التحدث عن تلك الخرافات. جاء الحديث عن ضوء الساحرة. خرج "جو" في الليلة الماضية للاحتفال باليوم الوطني في " ماساتشوسيتس"، وعاد بعد منتصف الليل. وبالنظر إلى المنزل من الخارج، ظن للوهلة الأولى أن نافذة "جليمان" مظلمة، لكن سرعان ما رأى الوهج البنفسجي بالداخل. أراد "جو" تحذير الرجل المهذب من هذا الوهج المعروف لدى الجميع في "أرخام" بأنه نور الساحرة "كُزايا" الذي يضيء بجوارها هي و"جينكن البني". لم يذكر تلك المعلومة من قبل، لكن الآن ينبغي أن يتكلم لأن معنى ذلك أن "كُزايا" والجني النصير -ذا الأنياب الطويلة- يلاحقان "جليمان" المهذب. كثيرًا ما اعتقد "جو" و "بول شوينسكي" و"دومبروزكي" مالك المنزل أنهم رأوا ذلك الضوء يتسرب من شقوق الغرفة المغلقة أعلى حجرة "جليمان"، لكنهم اتفقوا ألا يتحدث أحدهم عن ذلك. أما الآن فعليه

الانتقال إلى حجرة أخرى والذهاب لأخذ صليب من قس جيد مثل الأب "إيوانيكي".

عندما قال "جو" ذلك شعر "جليمان" بغصة تعتصر حلقه، يعرف أن "جو" غالبًا ما عاد إلى المنزل ثملًا في الليلة الماضية، لكن يظل ذكره للوهج البنفسجي الظاهر من نافذة العلية ذا أهمية، فدائمًا يظهر ضوء مثله في أحلامه عن المرأة العجوز والكائن الصغير ذي الفراء، تلك التي تسبق أحلام غرقه في اللجة، وفكرة أن يرى الوهج شخص آخر مستيقظ تدل على أن هذه الأحلام بعيدة تمامًا عن سلامة العقل، وإلا فكيف حصل "جو" على هذه المعلومة؟ سأله "جليمان"، هل تحدث عن ذلك عند سيره في أثناء النوم؟ لا، رد "جو"، لم يحدث ذلك. لكن على "جليمان" التأكد. قد يجد لدى "فرانك إلوود" ما يقوله بخصوص ذلك، رغم كرهه لسؤاله.

الحمى والأحلام، ثم السير في أثناء النوم ووهم سماع الأصوات، والانجذاب نحو نقطة في السماء، والآن يشك في أنه يتكلم بجنون في أثناء نومه! ينبغي له أن يتوقف عن الدراسة ويستشير طبيبًا مختصًا في الأعصاب ويجمع شتات نفسه. عندما صعد إلى الطابق الثاني، توقف عند باب "إلوود" لكنه لمح شبابًا آخرين في الخارج، فصعد متمهلًا إلى عليته وجلس في الظلام. ظلت نظرته معلقة باتجاه الجنوب الغربي، لكنه وجد نفسه مصغيًا لصوت يصدر من الحجرة العلوية، ويتخيل تسرب ضوء بنفسجي من شق متناهي الصغر من السقف المائل.

في تلك الليلة عندما نام "جليمان" سطع الضوء البنفسجي بأقصى

شدته، واقتربت منه الساحرة العجوز والكائن الصغير ذو الفراء أكثر من أي وقت مضى، وسخرا منه بطرق شريرة ووحشية. لذا كان شاكرًا حين سقط في اللجة بزئيرها الغامض على الرغم من شعوره بالانزعاج والتهديد من مطاردة الكتلة الفقاعية له -الملونة بألوان قوس قزح- والأخرى متعددة الزوايا الملونة. ثم حدث التحول حين رأى أسطحًا كبيرة متقاربة -من مواد زلقة- تلوح في الأفق أعلى جسده وأسفله، تحول انتهى بهذيان ووهج غير معلوم المصدر بألوان غريبة؛ خليط يصعب فصله من الأصفر والنيلي والقرمزي.

كان شبه مستلقٍ على شرفة خلابة ذات درابزين فوق غابة غريبة غير محدودة، تحتوي على قمم جبال عالية، ومسطحات متوازنة، وقباب، ومنارات، وأسطوانات أفقية تتوازن فوق قمم الأبراج، وعدد لا يحصى من الأحجار والمعادن البرية التي تلمع بروعة تحت السماء متعددة الألوان. بالنظر إلى أعلى رأى ثلاث شعلات ضخمة لكل منها لون مختلف على ارتفاعات متفاوتة، أعلى سلسلة جبلية بعيدة في الأفق. وجد خلفه طبقات متعددة من شرفات تعلو باتجاه علية بعيدة جدًا عن ناظريه. في الأسفل تمتد المدينة لأبعد من حدود البصر، وتمنى "جليمان" ألا تصل إليه أي أصوات منها.

الرصيف -الذي قام من عليه بسهولة- مصنوع من حجر غير معروف، مُعَرق ومصقول، والبلاطات مُقطعة بعشوائية، شعر "جليمان" أن عدم تماثلها يرتكز إلى تماثل غير أرضي يحتكم لقوانين غير مفهومة في عالمنا. أما الدرابزين فكان في ارتفاع الصدر، رقيقًا، ومصنوعًا بشكل خيالي مذهل، وعلى امتداده -على مسافات قصيرة

- تصطف أشكال زخرفية متقنة الصنع. وعلى غرار الدرابزين بدت الأشكال مصنوعة من معدن لامع لم يستطع "جليمان" معرفة لونه في وسط فوضى سطوع الألوان، كما أن طبيعة مكوناتها صعبة التخمين. في صورة برميلية لها أذرع أفقية رفيعة تتشعب من حلقة مركزية، ونتوءات وانتفاخات رأسية تخرج من رأس البرميل وقاعدته، مثّل كل نتوء مركزًا لخمسة أذرع طويلة مسطحة على شكل مثلث مستدق الطرف، تتشكل حول النتوء مثل أذرع نجم البحر، أفقية تقريبًا لكنها تنحني مبتعدة قليلًا عن البرميل في المركز. التحمت قاعدة النتوء السفلي للأشكال بالدرابزين، مع وجود بعض الأشكال المفقودة. ارتفاعها أربع بوصات ونصف وعرضها حوالي بوصتان ونصف عند أقصى عرض للأذرع.

عندما وقف "جليمان" شعر بحرارة البلاط تحت قدميه الحافيتين، كان وحيدًا تمامًا، وأول ما فعله أن سار إلى الدرابزين ونظر إلى أسفل -وهو مصابٌ بالدوار- في اتجاه المدينة الخرسانية على بُعد ألفي قدم. ظن "جليمان" أنه سمع إيقاعًا لموسيقى خافتة متعددة النغمات يأتي من الشوارع الضيّقة في الأسفل، وتمنى أن يميز المخلوقات التي تسكن المكان. أصابه المشهد بالدوار بعد فترة حتى كاد يسقط على الرصيف، إن لم يتمسك بالدرابزين اللامع. سقطت يده اليمنى على الأشكال البارزة، ساعدته اللمسة على أن يثبت قليلًا، ومع ذلك، بسبب هشاشة التكوين المعدني تهشم الشكل المملوء بالأشواك المدببة تحت قدميه. ظل ممسكًا بالدرابزين وهو ما زال مذهولًا، ووجدت يده الأخرى مكانًا خاليًا في الإطار المعدني.

التقطت أذناه الحساستان صوتًا يأتي من خلفه، فنظر "جليمان" في الاتجاه نفسه عبر الشرفة. اقتربت منه خمسة أشكال بنعومة من دون تخفي، اثنان منهما المرأة العجوز الشريرة والحيوان الصغير مدبب الأسنان ذو الفراء، أما الثلاثة الآخرون فتسببت رؤيتهم بفقدانه للوعي؛ كائنات حية طول كل منهم ثمانية أقدام ويشبهون تمامًا الأشكال على الدرابزين، ويدفعون أنفسهم للأمام بحركة عنكبوتية عن طريق مجموعة الأذرع السفلية الشبيهة بنجم البحر.

استيقظ "جليمان" في فراشه، غارقًا في العرق البارد، شاعرًا بوخز في وجهه وكفيه وقدميه. قفز إلى الأرضية، اغتسل وارتدى ملابسه على عجلة وهو مذعور كما لو أنه مضطر إلى الخروج من المنزل بأقصى سرعة. لم يعرف إلى أين يريد الذهاب، لكنه شعر مرة أخرى أن عليه التضحية بصفوفه. خفت الشعور الغريب بالانجذاب ناحية نقطة معينة في السماء بين كوكبة "السفينة" وكوكبة "الشجاع"، وحل محله آخر أشد قوة. شعر بوجوب ذهابه إلى الشمال، أقصى الشمال. فزع من عبور الجسر الذي يطل على الجزيرة المهجورة في "مسكاتونك" فذهب من خلال جسر جادة "بيابودي". تعثر كثيرًا، فقد تعلقت عيناه وأذناه بنقطة عالية جدًّا في السماء الزرقاء الفارغة.

بعد ساعة شعر بأنه صار أفضل ووجد نفسه بعيدًا عن المدينة. امتد من حوله الفراغ الكئيب لمستنقعات الملح، والطريق الضيق يتجه أمامه نحو "إنزموث"؛ المدينة العتيقة المهجورة جزئيًا التي يخشى أهل "أرخام" زيارتها رغم فضولهم. على الرغم من عدم زوال الشعور بالجذب في اتجاه الشمال، فإنه قاومه كما قاوم من قبل

وأخيرًا وجد أنه يستطيع أن يوازن بين شعوري الجذب المختلفين. حث نفسه على الرجوع إلى المدينة بخطوات ثقيلة واحتسى بعض القهوة في مقهى للمشروبات السريعة، ثم جذب نفسه إلى المكتبة العامة وتصفح المجلات الخفيفة بلا هدف. قابله بعض الأصدقاء وتعجبوا من إصابة بشرته بحروق الشمس، لكنه لم يخبرهم عن مسيراته السابقة. تناول غداءه في الثالثة، في ذلك الوقت كان الشعور بالجذب أقل. بعد ذلك أمضى الوقت بأن شاهد عرضًا سينمائيًا رخيصًا، وظل يتابع الأداء التافه من دون تركيز.

بحلول التاسعة مساءً سار مندفعًا حتى وصل إلى المنزل القديم. كان "جو مازورويتش" يئن بصلوات غير مفهومة، تعجل "جليمان" بالصعود إلى عليته من دون التوقف ليرى إن كان "إلوود" موجودًا. صُدم حين أضاء المصباح الكهربائي الخافت، في النظرة الأولى رأى شيئًا على الطاولة لا ينتمي إلى المكان، وعندما أمعن النظر لم يوجد مجال للشك. أحد الأشكال الغريبة ذات الأذرع المدببة التي كسرها على الدرابزين في حلمه القبيح مستلقٍ على جانبه -حيث لا يستطيع الوقوف بمفرده- من دون أي تفاصيل مفقودة؛ المركز برميلي الشكل، الأذرع الرفيعة والنتوءات تتفرع منها الأذرع التي تشبه نجم البحر. في الإضاءة الكهربائية الخافتة بدا لونه رماديًا مائلًا للأخضر، ورأى "جليمان" في أثناء رعبه وحيرته أن واحدًا من النتوءات ينتهي بكسر مسنن في مكان اتصالها بالدرابزين كما حدث في الحلم.

وحده الذهول هو ما منعه من الصراخ عاليًا. ذلك الامتزاج بين الواقع والأحلام فاق احتماله، أمسك الشيء ذا الأذرع -وهو ما زال

مذهولًا- ونزل مترنحًا إلى مسكن "دومبروزكي" مالك المنزل. ما زال أنين الصلوات الغامضة لمصلح الأنوال مسموعًا في الردهات العفنة، لكن لم يمانع "جليمان" ذلك الآن. استقبله المالك في مسكنه بترحاب وقال إنه لم يرَ هذا الشيء من قبل ولا يعرف ما هو، لكن زوجته أخبرته أنها رأت شيئًا غريبًا يشبه العلبة الصفيحية على فراش إحدى الغرف عند ترتيبها بعد الظهيرة. نادى "دومبروزكي" زوجته وجاءت متهادية، وأقرت أن هذا الشيء هو ما رأته في غرفة الشاب المهذب -"جليمان"- على الفراش بجوار الحائط، وجدت شكله غريبًا جدًّا لكنها دائمًا ما تجد أشياء غريبة في حجرته؛ كتبًا وصورًا وعلامات غريبة على الأوراق لا تعلم عنها أي شيء.

صعد "جليمان" الدَرَج مشوش الذهن، مقتنعًا أنه ما زال يحلم أو أن سيره في أثناء النوم تفاقم لدرجة جعلته يسرق شيئًا من مكان لا يعرفه، من أين حصل على هذا الشيء الغريب؟ لا يتذكر رؤيته في أي من متاحف "أرخام". من المؤكد أنه ينتمي إلى مكان ما، ورؤيته تسببت في الحلم الغريب بالشرفة ذات الدرابزين. فكر "جليمان" أن عليه التحقيق في ذلك في اليوم التالي، كما عليه الآن استشارة طبيب مختص في الأعصاب. في الوقت الحالي ينبغي أن يقتفي أثر نوبات سيره في أثناء النوم.

لذلك عندما صعد الدرج إلى ردهة العلية نثر بعض الدقيق الذي اقترضه- معترفًا بالغرض من استخدامه- من المالك. في طريقه توقف عند باب حجرة "إلوود" لكنه وجد المكان مظلمًا تمامًا في الداخل. دخل حجرته ووضع الشيء ذا الأذرع المدببة على الطاولة،

واستلقى مُنْهكًا ذهنيًا وجسديًا من دون أن يغير ملابسه. ظن أنه سمع صوت خربشات خافتة من الغرفة العلوية فوق السقف المائل، لكنه مشوش حتى ليفكر في دلالتها. وصل شعور الجذب إلى جهة الشمال أشده مرة أخرى، وبدا أنه قادم من مكان منخفض في السماء.

ظهرت المرأة العجوز مرة أخرى في وسط الوهج البنفسجي للحلم ومعها الكائن الصغير ذو الأنياب والفراء بوضوح أكثر من أي مناسبة سابقة. هذه المرة اقتربا منه كثيرًا حتى شعر بطرف العجوز الشمطاء الذابل يمسك به. جُر "جليمان" من فراشه إلى الفضاء الخالي، ولوهلة سمع زئيرًا ورأى حوله اللجة غير المتجانسة. حدث ذلك للحظة وجيزة ثم وجد نفسه في فراغ صغير من دون نوافذ، ترتفع الألواح الخشبية فوق رأسه وتحت قدميه تميل الأرضية بشكل غامض. وجد أيضًا خزانة سفلية تحتوي على كتب متفاوتة القدم والتفكك، وفي المركز وجد طاولة ومقعدًا كلاهما مثبت في مكانه. فوق الخزانة السفلية وضعت بعض الأشياء غير المألوفة الشكل والطبيعة، وفي الوهج البنفسجي البراق، ظن "جليمان" أنه رأى نسخة مطابقة من الشكل متعددة الأذرع وقد حيره وأرعبه ذلك جدًا. عن اليسار تنحدر الأرضية لأسفل تاركة ثغرة سوداء مثلثة الشكل، تسلق منها -بعد ثوان من سماع صوت الخربشات- الكائن الصغير ذو الفراء والأنياب الصفراء والوجه البشري الملتحي.

ما زالت المرأة العجوز ممسكة به بابتسامة شريرة، وخلف الطاولة رأى رجلًا طويلًا ونحيفًا، لونه أسود كالموتى من دون أي سمة من

سمات الزنوج. حليق الذقن والشعر ويرتدي فقط رداءً بشعًا من قماش ثقيل أسود اللون. لم يستطع "جليمان" تمييز قدميه بسبب الطاولة والمقعد لكنه توقع انتعاله لحذاء فقد كان لخطواته صوت نقر كلما غير موضعه. لم يتحدث الرجل ولم يظهر أي تعبير على ملامحه الصغيرة الدقيقة. أشار فقط إلى كتاب هائل الحجم مفتوح وموضوع على الطاولة، عندها وضعت المرأة العجوز ريشة رمادية ضخمة في يد "جليمان" اليمنى.

تغلف كل شيء بخوف جنوني، وصل الخوف إلى ذروته حين اندفع الكائن ذو الفراء متسلقًا ثياب "جليمان" ووثب على كتفيه ثم نزل على ذراعه الأيسر وأخيرًا عضه بحدة في رسغه أسفل طرف كمه. وعندما اندفعت الدماء من جرحه سقط "جليمان" فاقدًا الوعي.

استيقظ في صباح اليوم الثاني والعشرين وهو يشعر بألم في رسغه الأيسر، ووجده بني اللون مع وجود دم متجلط. جاهد ليتذكر لكنه مشوش، لكن مشهد الرجل الأسود في المكان الفارغ المجهول سطع في ذاكرته بكل وضوح. أقنع نفسه أن الفئران قرضت يده في أثناء نومه ونتج عن ذلك حلمه العجيب.

عندما فتح الباب رأى أن الدقيق المنثور في الردهة لم يُمسَ إلا من آثار قدمين كبيرين لجاره الفظ الذي يقطن الحجرة في الطرف الآخر من العلية. إذا فهو لم يسر في أثناء نومه هذه المرة. فكر أنه ينبغي له أن يأخذ خطوة بشأن هذه الفئران، عليه أن يتحدث إلى المالك عن ذلك. ومرة أخرى حاول سد الجحر عند قاعدة الحائط المائل بتثبيت حامل للشموع بدا أنه مناسب لحجم الفتحة، وكانت أذناه تطنان

بصوت مرعب كأنه بقايا لصدى مزعج من أحلامه.

بعد أن اغتسل وغير ملابسه حاول أن يتذكر بما حلم بعد المشهد في الفراغ المضاء بالوهج البنفسجي، لكن لم يتبلور شيء في ذاكرته، ذلك الموقع تحديدًا مطابق للغرفة العلوية المغلقة، التي شغلت خياله بعنف، والانطباعات اللاحقة عن الحلم ظلت خافتة ومشوشة. توجد لمحات من اللجة الغامضة، ولجج أخرى أكثر اتساعًا وأشد سوادًا خلفها، حيث غابت كل الأشكال المألوفة. أُخذ إلى هناك عن طريق الكتلة فقاعية الشكل والأخرى متعددة الأسطح اللتين طاردتاه دائمًا، لكنهما -مثله تمامًا- تحولتا إلى خيوط رفيعة من الضباب المضيء إضاءة خافتة في الفضاء حالك السواد. في هذه الأثناء حدث شيء آخر، خيط أكبر قليلًا يتشكل من حين لآخر على أشكال غير معلومة وظن "جليمان" أن حركتها ليست في خطوط مستقيمة لكنها على شكل منحنيات وحلزونات لدوامة إثيرية غير مادية تخضع لقوانين غير معروفة للفيزياء والرياضيات في أي من الكون المعروف. وفي النهاية رأى ظلًا ضخمًا يقفز وسمع صوتًا غير مألوف أحادي الطبقة ورفيع لناي غير مرئي، هذا كل ما حدث. قرر "جليمان" أنه التقط هذا التصور الأخير مما قرأ في كتاب "العزيف" عن كيان "أزاثوث" الطائش، الذي يحكم الزمان والمكان من عرشه الأسود المحاط بالفضول في مركز الفوضى.

عندما غسل "جليمان" الدماء عن جرح رسغه وجد أنه جرح طفيف، وتعجب من وجود ثقبين صغيرين. كما لم يجد دماء على غطاء الفراش حيث كان راقدًا، وجد أن ذلك غريب جدًّا نظرًا إلى

كمية الدماء على جلده ورسغه. هل كان يسير داخل حجرته في أثناء نومه، وهل عضته الفئران حين جلس على كرسي أو توقف في مكان غير منطقي؟ بحث في كل زاوية عن آثار نقاط بنية لكنه لم يجد شيئًا. فكر أنه من الأفضل أن ينثر الدقيق داخل الغرفة أيضًا كما بالخارج، على الرغم من أنه لا يحتاج إلى دليل آخر على سيره في أثناء النوم. هو يعلم أن ذلك يحدث بالفعل والمطلوب الآن هو إيقافه. ينبغي له طلب المساعدة من "فرانك إلوود".

في ذلك الصباح كان الشعور بالجذب أقل وحل محله شعور آخر لا يمكن تفسيره بسهولة. رغبة ملحة في الهروب من وضعه الحالي، من دون أن يرشده إلى أي اتجاه عليه الهروب. عندما التقط الشكل متعدد الأذرع على الطاولة شعر أن شعور الجذب القديم في اتجاه الشمال أصبح أقوى قليلًا ومع ذلك ظل الدافع الجديد طاغيًا.

أخذ الشكل متعدد الأذرع ونزل إلى "إلوود" متجاهلًا أنين مصلح الأنوال القادم من الطابق الأرضي. كان "إلوود" موجودًا -حمدًا للسماء- وبدا متحمسًا. لم يكن هناك متسع من الوقت للحديث قبل المغادرة لتناول الإفطار والذهاب إلى الجامعة، لذا أفصح "جليمان" سريعًا عن أحلامه الحديثة ومخاوفه. تعاطف مضيفه معه ووافقه أن عليهما فعل شيء ما. صدم "إلوود" من انعزال ضيفه وشحوبه كما لاحظ حروق الشمس الغريبة التي ذكرها بعض في الأسبوع الماضي. لم يكن هناك الكثير ليقوله، فهو لم ير "جليمان" في أي نوبة سير في أثناء النوم، وليس لديه أي فكرة عما يُفترض أن يراه. لكنه سمع ذات مساء الفرنسي الكندي -المقيم في الطابق أسفل "جليمان"-

يتحدث إلى "مازورويتش". تبادلا الحديث عن فزعهما من اقتراب "ليلة فالبورجيس" بعد أيام قليلة، وتبادلا تعليقات الشفقة على حال الرجل المهذب المسكين التعس. تحدث "ديروشيه" المقيم أسفل غرفة "جليمان" عن سماعه وقع أقدام في المساء بعضها لأقدام تنتعل حذاء والأخرى من دونه، وعن الضوء البنفسجي الذي رآه في ليلة ما عندما استرق النظر من ثقب مفتاح باب "جليمان". لم يستطع التحمل وأخبر "مازورويتش" بعدما لمح ذلك النور من شقوق الباب. كما سمع صوتًا خفيضًا وعندما حاول وصفه خفض صوته إلى همس غير مسموع.

لم يستطع "إلوود" تخيل ما السبب وراء تلك الشائعات والخرافات. لكنه توقع أن سير "جليمان" وكلامه في أثناء النوم من جهة، والخوف التقليدي من اقتراب يوم "بيلتين" الوثني من جهة أخرى، قد أثرى خيالهم. من الواضح أن "جليمان" يتحدث في أثناء نومه وسمع "ديروشيه" عن الضوء البنفسجي في أثناء تلصصه من ثقب المفتاح. هؤلاء البسطاء يتخيلون بسهولة أي شيء يسمعون عنه.

تنفيذًا لخطة العمل انتقل "جليمان" إلى حجرة "إلوود" حتى لا ينام بمفرده، وحتى يوقظه "إلوود" إذا ما بدأ بالكلام أو السير في أثناء النوم، وقريبًا جدًا ينبغي أن يستشير طبيبًا مختصًا. في أثناء ذلك من الممكن أن يأخذا الشكل ذا الأذرع ليعرضاه على المتاحف وبعض الأساتذة بهدف تعرف كينونته، مدعيين أنهما وجداه في صندوق القمامة. كما يجب أن يحضر "دومبروزكي" لتسميم الفئران التي تعيش داخل الحوائط.

حضر "جليمان" صفوفه ذلك اليوم، متشجعًا بصحبة "إلوود"، لازمه الشعور بالانجذاب لكنه تجنبه بنجاح، وفي أثناء الاستراحة عرض الشكل الغريب على الكثير من الأساتذة، أبدى جميعهم الاهتمام لكن لم يعرف أيهم طبيعته أو مصدره. نام "جليمان" في ذلك المساء على أريكة طلب "إلوود" من المالك إحضارها للطابق الثاني، وللمرة الأولى منذ أسبوع لم تزره أي أحلام مؤرِقة. لكن الحمى استمرت، واستمر أنين مصلح الأنوال المثير للأعصاب.

في الأيام القليلة التالية تمتع "جليمان" بمناعة حصينة ضد أعراضه السابقة. قال "إلوود" إنه لم يبدِ أي قابلية للكلام أو السير في أثناء نومه، في هذه الأثناء وضع المالك سم الفئران في كل مكان. وكان مصدر الإزعاج الوحيد هي الشائعات بين المؤمنين بالخرافات، بسبب خيالهم المتقد. حاول "مازورويسكي" كثيرًا أن يجعله يحصل على صليب وأخيرًا أجبره على أخذ واحد منه قائلًا إنه تبارك بأخذه من الأب الفاضل "إيوانيكي". لدى "ديروشيه" ما يقوله أيضًا، في الحقيقة صمم على أنه سمع صوت وقع أقدام في الغرفة الفارغة الآن في الطابق الذي يعلوه في أول ليلتين غاب فيهم "جليمان" عنها. ظن "بول شوينسكي" أنه سمع أصواتًا في الردهة وعلى الدرج في الليل، وادعى أن شيئًا ما حاول فتح بابه، بينما أقسمت السيدة "دومبروزكي" أنها رأت "جينكن البني" لأول مرة منذ عيد جميع القديسين. لكن كل هذه الملاحظات الساذجة لا تعني شيئًا، ترك "جليمان" الصليب المعدني الرخيص معلقًا بإهمال في خزانة مضيفه.

لمدة ثلاثة أيام فحص "جليمان" و"إلوود" بدقة المتاحف المحلية

رغبة في معرفة ماهية الشكل الغريب ذي الأذرع المتعددة، لكن من دون نتيجة.

على الرغم من ذلك أثار وجوده الاهتمام في كل مكان، حيث إن غرابته تحدٍ هائل للفضول العلمي. كُسر ذراع من أذرعه المتشعبة لإخضاعه للتحليل الكيميائي، وما زالت المناقشات تُجرى حول نتائج هذا التحليل في الجامعة. وجد الأستاذ "إليري" عناصر البلاتين والحديد والتيليريوم في هذه السبيكة الغريبة، ممتزجًا معهم على الأقل ثلاثة عناصر أخرى ذات وزن ذري عال، لم تستطع الكيمياء التعرف إليهم تمامًا. لم تفشل العناصر في التطابق مع العناصر المعروفة فقط، بل ولم تناسب أيضًا الأماكن الفارغة في الجدول الدوري المتروكة للعناصر المحتمل اكتشافها. لم يحل اللغز حتى ذلك اليوم، وظل الشكل في متحف جامعة "مسكاتونيك".

في صباح السابع والعشرين من أبريل، ظهرت فتحة حديثة لجحر فئران في الغرفة التي حل "جليمان" ضيفًا بها وسدها "دومبروزكي" خلال اليوم. لم يؤت سم الفئران بنفع، فلم تختفِ الخربشات والهرولة داخل الحوائط. ظل "إلوود" بالخارج لوقت متأخر تلك الليلة وانتظره "جليمان"، فلم يخلد للنوم وحيدًا وبخاصة أنه لمح المرأة العجوز -التي انتقلت صورتها بغرابة إلى أحلامه- في الشفق. تساءل عمن هي وما الذي بجوارها يعبث بالعلبة الصفيحيّة على كومة القمامة في بداية الفناء القذر. بدا على المرأة العجوز أنها لاحظته ونظرت إليه نظرة خبيثة، لكن يوجد احتمال أن ذلك من خياله فقط.

شعر الشابان بالإرهاق في اليوم التالي، وعرفا أنهما سينامان مثل لوحيْ خشب في تلك الليلة. في المساء ناقشا معًا -وهما يشعران بالنعاس- الدراسات الرياضية التي انغمس فيها "جليمان" وربما هي ما ضرته، وتكهنا أن الربط بينها وبين التراث الشعبي والسحر القديم هو السبب الغامض لما يحدث. تحدثا عن العجوز "كُزايا ميسون"، ووافق "إلوود" على أن "جليمان" توصل إلى نظرية علمية جيدة حين فكر أنها قد توصلت إلى معلومة علمية غريبة. عادة ما تحمي الطوائف السرية التي تنتمي إليها هؤلاء الساحرات أسرارًا عتيقة وتسلمها من جيل إلى جيل، وليس ممكنًا تحت أي ظرف أن "كُزايا" قد أتقنت بالفعل فنون الانتقال عبر بوابات الأبعاد. أثبتت التقاليد عدم أهمية الحواجز المادية في الحد من حركة الساحرات، فمن يستطيع تفسير الحكايات القديمة عن جولات ركوب عصا المكنسة خلال الليل؟

فهل استطاع طالب حديث أن يحصل على قوى مشابهة عن طريق البحث في علم الرياضيات فقط؟ لم يتحقق التأكد من ذلك بعد، لكن النجاح الذي حققه "جليمان"، من المحتمل أن يؤدي إلى مواقف خطيرة لا يمكن تصورها، فمن يستطيع التنبؤ بظروف شيوع معلومة وجود بُعد آخر قريب لكن لا يمكن الوصول إليه عادة في الظروف الطبيعية؟ على صعيد آخر هناك عدد ضخم من الاحتمالات الرائعة؛ قد لا يكون الزمن موجودًا في نطاقات معينة من الفضاء وبدخول ذلك النطاق والبقاء فيه يظل الإنسان محتفظًا بعمره وحياته إلى ما لا نهاية، من أن يعاني مشكلات عضوية أو تدهور للحالة الصحية، إلا

بشكل طفيف فقط خلال زيارته لبعده الأصلي أو لأبعاد مماثلة. وعلى سبيل المثال قد يمر أحدهم ببعد لا يتأثر بالزمن ثم يظهر في فترة بعيدة من تاريخ الأرض في عمره السابق نفسه.

سواء تمكن أحد من ذلك أم لا، يكاد المرء لا يتكهن بذلك أو يعتقد بحدوثه على وجه اليقين. الأساطير القديمة غامضة ومبهمة، وكل محاولات عبور الفجوات المحظورة في العصور التاريخية تبدو معقدة بسبب تحالفات مع كائنات ومبعوثين خارجيين. هاك مثلًا الشكل القديم للمبعوث أو المندوب عن الجماعة السحرية ذا القوى الرهيبة الخفية "الرجل الأسود"، و"نيارلاثوتاب" من كتاب "العزيف". توجد كذلك المشكلة المحيرة للمبعوثين الأصغر أو الوسطاء مثل أشباه الحيوانات والطيور الهجينة الذين توصفهم الأساطير بالجن النصير.

عندما أُرهق "جليمان" و"إلوود" وصارا خاملين جدًا على تحمل النقاش، سمعا "جو مازورويتش" يترنح داخلًا المنزل -شبه ثمل- ويهتز بأنين صلواته اليائسة.

في تلك الليلة رأى "جليمان" الضوء البنفسجي مرة أخرى، وفي حلمه سمع أصوات القرض والخربشات وراء قواطع الحوائط، وظن أن أحدهم يعبث بالمزلاج، ثم رأى المرأة العجوز والشيء الصغير ذا الفراء يقتربان منه فوق الأرضية المغطاة بالبساط. ارتسم على وجه العجوز ملامح ابتهاج غير آدمية، وضحك ذو الأنياب الصفراء باستهزاء مشيرًا إلى "إلوود" النائم بعمق على الأريكة في الجانب الآخر من الحجرة. شل "جليمان" خوفه وفشلت كل محاولاته

للصراخ. وكما حدث من قبل، جذبته العجوز من كتفيه، وانتزعته من فراشه إلى ذلك المكان الفارغ السابق. وللمرة الثانية، ومضت أمامه اللجة الملونة بألوان الشفق وسمع صوت الصراخ من داخلها لكنه في اللحظة التالية وجد نفسه في زقاق غير معروف، مظلم وموحل وتفوح منه رائحة نتنة، ومن حوله منازل عتيقة ذات جدران متعفنة. وفي الأمام وقف الرجل الأسود ذو الرداء -الذي رآه "جليمان" في حلمه السابق، وعلى مسافة أقرب وقفت المرأة العجوز وهي تومئ وملامحها عابسة بشدة. أما "جينكن البني" فكان يحُك جسده بطريقة حنونٍ محبة حول كاحلي الرجل الأسود المغطيين بالوحل العميق. أشار الرجل الأسود صامتًا إلى مدخل مظلم على الجهة اليمنى، فجذبت العجوز العابسة "جليمان" في اتجاهه من كُم رداء نومه. هناك دَرَج تفوح منه رائحة شريرة وله صوت صرير ينذر بالسوء، أشعت المرأة العجوز عليه ضوءًا بنفسجيًا خفيضًا، وفي نهاية وجد بابًا عند مُنبسط الدَرَج. عبثت العجوز بالمزلاج ودفعت الباب ليُفتح، وأشارت لـ"جليمان" أن ينتظر واختفت داخل المنفذ المظلم.

التقطت أذنا الشاب الحساستان صرخة مختنقة بشعة، ثم خرجت العجوز من الحجرة وهي تحمل جسدًا صغيرًا فاقدًا الوعي، دفعته إلى يدي الحالِم وكأنها تأمره أن يحمله. رؤية الجسد وتعبيرات وجهه أنهت كل شيء. ما زال مذهولًا بشدة ليصرخ، نزل الدَرَج المزعج بتهور حيث الوحل بالخارج، وتوقف فقط عندما صُدم لمرأى الرجل الأسود منتظرًا. وفي أثناء غيابه عن الوعي سمع ضحكات صاخبة

للكائن شبيه الفأر ذي الأنياب.

في صباح التاسع والعشرين، استيقظ "جليمان" مضطربًا ومرعوبًا. بمجرد أن فتح عينيه عرف أن هناك خطأ ما، وجد أنه قد عاد لعليته ذات السقف والحائط المائلين وممددًا على فراشه الذي لم يعد مرتبًا الآن. آلمه حلقه من دون سبب واضح وعندما حاول الجلوس بصعوبة رأى -وهو مرتعد- قدميه والأطراف السفلية لثياب نومه تحولت للون البني بسبب الوحل المتخثر الملتصق بها. ما زالت ذاكرته مشوشة لكنه تأكد أنه كان يسير في أثناء نومه، وغرق "إلوود" في النعاس ولم يسمعه ليوقفه. على الأرض هناك آثار طينية غريبة لا تصل إلى الباب، وكلما أمعن "جليمان" النظر إليها بدت أكثر غرابة، حيث وجد -بالإضافة إلى الآثار التي عرف أنها تخصه- آثارًا أخرى دائرية وصغيرة الحجم كما لو أنها لمقعد كبير أو طاولة لكن معظمها مقسم إلى نصفين. وجد أيضًا بعض مسارات الفئران الطينية من جحر حديث وإليه. تمزق "جليمان" من الحيرة والخوف من الجنون، عندما ترنح نحو الباب ولم يجد آثارًا طينية خارجه. وكلما تذكر تفاصيل من حلمه الغريب زاد شعوره بالخوف، وأضاف إلى يأسه سماعه "جو مازورويتش" يترنم نائحًا على بعد طابقين أسفل حجرته.

نزل إلى حجرة "إلوود" وأيقظ مضيفه الذي لا يزال نائمًا، وقصّ عليه كيف وجد نفسه، ولم يستطع "إلوود" أن يتصور كيف حدث ذلك بالفعل. أين ذهب "جليمان" وكيف عاد إلى حجرته من دون أن تنطبع آثار قدميه في الردهة، وكيف اختلطت آثار قدميه مع آثار

تشبه الأثاث في حجرته، يصعب التكهن بكل ذلك.

توجد العلامات الرمادية الداكنة على رقبة "جليمان" كما لو أنه حاول شنق نفسه، وضع يديه عليها لكنها لم تتطابق. وفيما يتحدثان نزل "ديروشيه" ليقول لهما إنّه سمع جلبة هائلة فوق السقف في ساعات الظلام القليلة. ولم يكن هناك أحد على الدَرَج بعد منتصف الليل رغم أنه سمع وقع خطوات في العلية قبل منتصف الليل تمامًا، وصوت خطوات تهبط الدَرَج بحذر لم يَرُقه. أضاف "ديروشيه" أن ذلك الوقت من العام يكون سيئا جدًّا في "أرخام"، ومن الأفضل أن يرتدي الشاب المهذب -"جليمان"- الصليب الذي أعطاه إياه "جو مازورويتش". حتى النهار لم يكن آمنًا، بعد الفجر سُمعت أصوات غريبة في المنزل، وبخاصة صوت عويل طفولي حاد يخفت بسرعة.

في ذلك الصباح حضر "جليمان" صفوفه جسديًا فقط، ولم يستطع التركيز في دراسته. استحوذت عليه حالة من الترقب المزعج، كما لو ينتظر وقوع كارثة مهلكة. تناول طعام غدائه وقت الظهيرة في مقصف الجامعة، وفي أثناء انتظاره الحلوى، التقط جريدة على المقعد المجاور. لكنه لم ينتظر ليأكل طبق الحلوى، جعله عنوان خبر في الصفحة الأولى من الجريدة يرحل مترنحًا، وغاضبًا، استطاع فقط دفع فاتورته ورجع متخبطًا إلى حجرة "إلوود".

وقع حادث اختطاف غريب في الليلة السابقة في ممر "أورن" وتبخر تمامًا طفل عاملة المغسلة الغبية -التي تدعى "أنستازيا ولجكو"- ذا العامين. تبين أن الأم كانت تخشى ما حدث منذ بعض الوقت، لكن سبب خوفها كان غريبًا جدًّا ليأخذه أحد بجدية. رأت

"جينكن البني" في المنطقة من حين لآخر منذ بداية شهر مارس، وعرفت من ضحكاته الشريرة أن الصغير "لاديسلاس" مختار للتضحية في "ليلة فالبورجيس". وطلبت من جارتها "ماري زانيك" أن تبيت في حجرتها وتحاول حماية الطفل، لكن "ماري" لم تجرؤ على ذلك. لم تبلغ الشرطة حينها فلن يصدقوا مثل هذه الأشياء. حسبما تتذكر الأطفال يختفون بالطريقة نفسها في كل عام. ولن يساعدها صديقها "بيت ستوفاكي" أيضًا فهو يريد الطفل بعيدًا عن طريقه بأي شكل.

لكن ما جعل "جليمان" يتصبب عرقًا باردًا فهو شهادة زوج من المحتفلين، كانا سائرين عند مدخل الممر بعد منتصف الليل مباشرة. أقرا أنهما كانا ثملين لكن أقسم كليهما على رؤية شخص زنجي ضخم يرتدي رداءً، وامرأة عجوز ضئيلة تلتف بأسمال بالية وشاب أبيض في ملابس النوم. المرأة العجوز تجر الشاب بينما يتمرغ فأر أليف في الوحل عند قدمي الرجل الزنجي.

ظل "جليمان" مذهولًا طوال فترة ما بعد الظهيرة، أما "إلوود" -وقد قرأ الجريدة خلال ذلك الوقت وخمن تخمينًا رهيبًا منها- فرجع المنزل ليجد "جليمان" على تلك الحال. هذه المرة لم يشك أيهما أن شيئًا مرعبًا وخطيرًا يقترب منهما. بين أوهام الكوابيس وواقع العالم تتبلور علاقة مرعبة لا يمكن تصورها، ويحتاجان إلى يقظة هائلة حتى يتجنبا تطورات رهيبة أخرى قد تحدث. على "جليمان" استشارة متخصص عاجلًا أم آجلًا، لكن ليس الآن وكل الصحف تمتلئ بأخبار حادث الاختطاف.

أما ما حدث بالفعل فغامضٌ غموضًا جنونيًا، تبادل "جليمان" و"إلوود" أعنف الافتراضات. هل نجح "جليمان" بلا وعي أكثر مما يظن أنه حقق في دراسته للفضاء وأبعاده؟ هل بالفعل انزلق خارجًا من الكرة الأرضية لنقاط غير قابلة للتخمين ولا يمكن تصورها؟ أين كان في تلك الليالي الشيطانية إن كان قد ذهب إلى أي مكان؟ لجة الغسق ذات الزئير، ومنحدر التَل الأخضر، والشرفة المزعجة، وشعور الجذب من النجوم، والدوامة حالكة السواد، والرجل الأسود، والزقاق الموحل والدَرج، والساحرة العجوز والكائن المرعب ذو الأنياب والفراء، والكتلة الفقاعية والصغرى متعددة الأسطح، وحروق الشمس الغريبة، وجرح الرسغ، والصور الغريبة، والقدمان الملطخان بالوحل، والعلامات على الرقبة، والشائعات وحكايات الغرباء المؤمنون بالخرافات، ما معنى كل تلك الأشياء؟ إلى أي مدى يتوافق كل ذلك مع سلامة العقل؟

في تلك الليلة لم ينم أيهما، لكن في اليوم التالي غلبهما النعاس وتغيبا عن صفوفهما. اليوم الثلاثون من أبريل وعند الغسق يحل سبت الساحرات اللعين، الذي يخشاه كل الغرباء والعجائز المؤمنون بالخرافات. رجع "مازورويتش" إلى المنزل في السادسة، وقال إن الناس عند الطاحونة تحدثوا عن احتفال "فالبورجيس" الذي سيقام في الوادي المظلم خلف تل "ميادو" حيث الحجر الأبيض القديم في مكان خال من النباتات بشكل غريب، حتى أن بعضًا منهم تحدث إلى الشرطة ليبحثوا عن الطفل المفقود هناك، لكنهم لا يصدقون أن الشرطة ستفعل شيئًا حيال ذلك. أصر "جو" أن يرتدي "جليمان"

صليبه المصنوع من النيكل، ووافق "جليمان" وارتداه ووضعه داخل قميصه مسايرًا زميله.

جلس الشابان على مقعديهما في وقت متأخر من الليلة، هادئين بفعل الإيقاع المنتظم لصلوات مصلح الأنوال في الطابق الأسفل. أنصت "جليمان" بينما أومأ برأسه، ويبدو أن سمعه المرهف -بدرجة فائقة للطبيعة- انجذب لبعض الهمهمات الرهيبة الماكرة والبعيدة عن صخب المنزل القديم. ظهرت الذكريات المؤذية للأشياء التي طالعها في كتاب "العزيف" و"الكتاب الأسود" على السطح، ووجد نفسه يتمايل مع الإيقاع البغيض الذي قيل إنه يخص أبشع مراسم "سبت الساحرات" ويرجع مصدره إلى خارج الفضاء والزمان اللذين نعرفهما.

أدرك "جليمان" طبيعة ما يصغي إليه؛ الأنشودة الشيطانية للمحتفلين في الوادي المظلم. كيف عرف كل ذلك عما يتوقعون؟ كيف عرف الوقت المناسب الذي تحمل فيه "ناهاب" ومساعدها الصحن الممتلئ الذي يجب أن يلحق بالديك الأسود والعنزة السوداء. رأى أن "إلوود" قد سقط نائمًا، فحاول أن يوقظه، لكن شيئًا ما أغلق حنجرته. لم يعد سيد قراره منذ أن وقّع كتاب الرجل الأسود.

التقط سمعه المحموم الملاحظات البعيدة المنقولة بالرياح عبر أميال من التل والحقل والزقاق، لكنه تعرف إليها بالرغم من ذلك. ينبغي أن تكون النار قد أُضرمت، والراقصون قد بدأوا الاحتفال. كيف يمنع عقله من الذهاب؟ ما الذي ورّطه في كل ذلك؟ علم الرياضيات، أم التراث الشعبي، أم المنزل، أم "كُزايا" العجوز و"جينكن

البني"، والآن يرى جحر فئران حديث الصنع في الحائط القريب من الأريكة التي يجلس عليها. جاءه صوت آخر خلاف الأنشودة القاصية وصلوات "جو مازورويتش" الدانية؛ خربشات محددة ومتخفية خلف حواجز الحائط، وتمنى "جليمان" ألا ينقطع الضوء الكهربائي. ثم رأى في فتحة جحر الفئران وجهًا صغيرًا ذا أنياب ولحية، ذلك الوجه الملعون الذي أدرك في النهاية أنه يشابه وجه العجوز "كُزايا" لدرجة صادمة، وسمع صوتًا يتحسس الباب بارتباك.

ومضت لجة الغسق الصارخة أمامه، ووجد نفسه بلا حيلة في قبضة الكتلة الفقاعية قزحية الألوان. ثم أسرعت الكتلة الصغيرة المتلونة متعددة الأسطح، وفي أثناء بقائه في الفراغ المتماوج كان هناك تسارع وزيادة في إيقاع النغمات الغامضة، وبدا ذلك محذرًا من ذروة لا تحتمل ولا تُوصف. شعر بأنه يعرف ما سيحدث، الانفجار الوحشي لإيقاع فالبورجيس الذي يتركز في صوته كل اضطرابات الزمكان البدائية، التي تقع خلف الأجسام الفلكية العملاقة، وأحيانا يقطع الصمت صدى محسوب ليخترق بصوت خفيض كل طبقات الكيان ويعطي دلالة بشعة في كل مكان في العالم خلال فترات معينة من الفزع.

تبخر كل ذلك في لحظة واحدة. وجد "جليمان" نفسه من جديد في المكان الضيق المضاء بوهج بنفسجي، ذي الأرضية المائلة والخزانة السفلية التي تحتوي على الكتب القديمة، وجد المقعد والطاولة، والأشياء الغريبة، والثغرة المثلثة الشكل في الجانب. وعلى الطاولة وجد جسدًا أبيض اللون لطفل صغير، عاريًا وغير

واع، وعلى الجانب الآخر وقفت المرأة العجوز تنظر شزرًا وفي يدها اليمنى سكين لامعة ذات مقبض مزخرف وصحن معدني يتناسق مع السكين بشكل ما ومغطى بزخرفات غريبة وتحمل مقبضًا جانبيًا رقيقًا بيدها اليسرى. ترتل بعض الشعائر بلغة لم يفهمها "جليمان"، لكن بدا له أنها تقتبس بحذر من كتاب "العزيف".

عندما اتضح المشهد أمامه، وجد العجوز الشمطاء تنحني للأمام وتمد الصحن عبر المائدة، ومن دون أن يتحكم في حركته، مد ذراعيه وأمسكه منها بكلتا يديه ولاحظ عند ذلك خفة وزنه نسبيًا. في تلك اللحظة خرج "جينكن البني" المقزز مسرعًا من الثغرة السوداء عن يساره. حركت العجوز "جليمان" حتى يحمل الصحن في وضع معين بينما ترفع السكين الضخم اللامع فوق جسد الضحية الأبيض الصغير لأعلى ما تستطيع رفع يديها اليمنى. أكمل الكائن ذو الأنياب تمتمة الشعائر غير المعروفة، بينما ترد عليه العجوز بصوت أجش. شعر "جليمان" بلدغة حادة مثيرة للاشمئزاز تخللت شلله الفكري والجسدي، واهتز الصحن المعدني في قبضته. في اللحظة التالية أنهت حركة السكين للأسفل كل شيء، فأسقط الصحن محدثًا قعقعة مدوية كالجرس بينما اندفعت يداه بشكل محموم ليوقف هذا الفعل الوحشي.

في لحظة اتجه ناحية الأرضية المائلة ودار حول نهاية الطاولة وسحب السكين من مخلب المرأة العجوز ثم رماه في اتجاه حافة الثغرة المثلثة محدثًا جلبة، وفي اللحظة التالية انعكس الأمر، التفت المخالب القاتلة حول حلقه بإحكام، والوجه المتجعد اتقد بغضب

جنوني. شعر بسلسلة الصليب زهيد الثمن تصر حول عنقه، وتعجب في لحظة الخطر، كيف لرؤيته فقط أن تؤثر في الكائن الشرير. قواها تفوق البشر، لكن بينما استمرت في خنقه، أخرَج الصليب المعدني بضعف من داخل قميصه، وقطع السلسلة وحرره منها. عند مَرآه أصاب العجوز الهلع وارتخت قبضتها بصورة كافية مكنت "جليمان" من فكها كلية. جذب مخلبيها الفولاذيين من حول رقبته وبينما يجر المرأة العجوز في اتجاه حافة الثغرة، تقوى مخلباها من جديد وأمسكته ثانية. هذه المرة تمكن من الرد بالمثل ولف يديه حول عنق المرأة، وقبل أن تتمكن من رؤية ما يحدث، لف سلسلة الصليب حول رقبتها، وفي اللحظة التالية أحكم لفها حتى تقطع أنفاسها. في أثناء صراعها الأخير، أحسّ بأثر عضّةٍ في كاحله ورأى "جينكن البني" وقد حضر لمساعدة العجوز. بركلة واحدة متوحشة أرسل الكائن المزعج إلى الثغرة وسمع تذمره من مستوى بعيد منخفض.

لا يعرف "جليمان" هل قتل المرأة العجوز أم لا، لكنه تركها ممددة على الأرض حيث وقعت. وعندما التفت رأى على الطاولة مشهدًا أصابه بالجنون. "جينكن البني" مشغول بكل قوته مع الضحية باستخدام أطرافه الأربعة الشيطانية والبارعة، في حين أنَّ الساحرة كانت تخنق "جليمان" ضاع كل جهده باطلًا. فعلت أنياب الكائن المارق بمعصم الضحية ما منع "جليمان" السكين أن تفعله بصدره. ثم رأى الصحن الممتلئ على الأرض بجوار الجسد الصغير الخالي من الحياة.

سمع "جليمان" في حلمه وهذيانه أنشودة سبت الساحرات

الشيطانية ذات الإيقاع الغريب عن مسافة بعيدة جدًا، وأيقن أن الرجل الأسود هناك. اختلطت الذكريات المشوشة مع النظريات الرياضية، اعتقد أن عقله اللاواعي احتفظ بالزوايا التي يحتاج إليها لترشده رجوعًا إلى العالم الطبيعي وحده من دون مساعدة لأول مرة. كان متأكدًا أنه في الغرفة العلوية -المغلقة منذ القدم- فوق حجرته، لكنه تشكك هل يستطيع الهرب من خلال الأرضية المائلة أم من المخرج القديم. بالإضافة إلى ذلك، أليس الهروب من الغرفة العلوية في الحلم يحضره إلى المنزل في الحلم فقط، كبديل للمكان الذي أراده في الواقع؟ بقيَ حائرًا تمامًا في فهم العلاقة بين الواقع والحلم في كل ما اختبره.

تصور أن المرور خلال اللجة الغامضة مرعب، حيث تصدح إيقاعات "فالبورجيس" وآخر ما يتمنى سماعه هو نبض الكون الخفي فتأثيره مفزع حتى الموت. والآن يشعر باهتزاز إيقاع خافت توقع وجوده بشدة، فهو يصل إلى العالم في سبت الساحرات ليستدعي بداية طقوس مجهولة. نصف أناشيد سبت الساحرات مسجلة في النبض الذي يسمعه بأذنيه الحساستين ولا تقدر أي آذان بشرية أن تحتمل أن تملأ هذه الأصوات الفراغ حولها. تساءل "جليمان" هل يثق بحدسه ليرجعه إلى المكان الصحيح. كيف يتأكد أنه لن يهبط على منحدر تل أخضر لكوكب بعيد، على شرفة من الفسيفساء فوق مدينة الأشباح ذوي المخالب في مكان ما في المجرة، أو الدوامات السوداء في ذروة الفوضى حيث يسود حكم "أزاثوث" الشيطان؟

فقط قبل أن ينهار انطفأ الضوء البنفسجي وتركه في ظلام حالك.

الساحرة العجوز "كُزايا" -"ناهاب"- التي قصدت موتها. وأنين من عمق غير معلوم ممزوج بأنشودة سبت الساحرات البعيدة وأنين "جينكن البني" داخل الثغرة في الأسفل. وعوالم "جو مازورويتش" -الذي تحولت صلواته ضد الفوضى الزاحفة إلى صرخات انتصار غير مفسرة- اصطدمت بواقعها التهكمي مع دوامات أحلام الحمى. و"شاب نيجوراث"(22) العنزة ذات الألف طفل.

وُجد "جليمان" قبل الفجر على أرضية عليته غريبة الزوايا، صرخة مروعة أحضرت "ديروشيه" و"شوينسكي" و"دومبروزكي" و"مازورويتش" معًا، بل وأيقظت "إلوود" المستغرق في النوم على مقعده. كان "جليمان" حيًا، بعينين مفتوحتين ومحدقتين لكن بدا أنه غير واعٍ. وجدوا آثار الأيدي القاتلة على عنقه وعلى كاحله الأيسر عضة فأر مقلقة. تجعدت ملابسه بشدة وكان صليب "جو" مفقودًا. ارتجف "إلوود" خائفًا من تخمين إلى أي مدى تطور سير صديقه في أثناء النوم. بدا "مازورويتش" مذهولًا جزئيًا بسبب "إعلان" قال إنه حصل عليه نتيجة صلواته، ووسم ذاته بعلامة الصليب بسرعة عندما سمعوا صراخًا ونشيجًا لفأر من خلف العوارض المائلة.

عندما استقر "جليمان" الحالم على الأريكة في حجرة "إلوود"، أرسلوا في طلب الطبيب "مالكوفسكي" -ممارس محلي لن يثرثر بتفاصيل محرجة- حقن "جليمان" بعقارين تحت الجلد جعلاه يهدأ وكأنه ينام بشكل طبيعي. على مدار اليوم استعاد المريض وعيه وهمس بحلمه الأحدث -من دون ترابط- إلى "إلوود". عملية صعبة، في بدايتها استحضر حقيقة جديدة ومقلقة.

صار "جليمان" -الذي أمست أذناه في الآونة الأخيرة حساستين بطريقة غير طبيعية- أصمَ تمامًا. استُدعي الطبيب "مالكوفسكي" في عجالة مرة أخرى، أخبر "إلوود" أن طبلتي الأذن قد انفجرتا، كما لو كان تأثير صوت حاد هائل أبعد من أي تصور أو تحمل بشري. لكن كيف سمع هذا الصوت في الساعات القليلة الأخيرة من دون أن يوقظ كل سكان وادي "ميسكاتونيك"؟ ذلك أكثر مما استطاع الطبيب الأمين أن يقوله.

كتب "إلوود" جانبه من الحديث على ورقة، حتى يحافظ على التواصل السلس. لم يعرف أيهما ما الأفضل أن يفعلاه حيال الوضع الفوضوي، وقررا أنه ينبغي لهما النقاش قليلًا حول الأمر. وافق كلاهما على أهمية ترك هذا المنزل القديم الملعون في أقرب وقت ممكن. تحدثت صحف المساء عن مداهمة الشرطة لبعض المحتفلين الفضوليين في واد خلف "تل ميادو" قبل الفجر مباشرة، وأوضحت الصحف أن الحجر الأبيض هناك منذ القدم محل احترام للمؤمنين بالخرافات. لم يُلق القبض على أحد لكن بين الهاربين المنتشرين لوحظ شخص زنجي ضخم. وفي خبر آخر ذُكر أنه لم يُعثر على "لاديسلاس ولجكو" الطفل المفقود.

أما قمة الرعب فحدثت في تلك الليلة ذاتها. لن ينس "إلوود" أبدًا ما حدث، كما أنه أُجبر على الابتعاد عن الجامعة الفترة المتبقية من الفصل الدراسي بسبب الانهيار العصبي. ظن أنه سمع أصوات الفئران خلف العوارض طوال المساء، لكنه لم يعطهم الكثير من تركيزه. بعد أن انعزل هو و"جليمان" بوقت طويل، بدأ الصياح البشع. قفز "إلوود"

وأضاء ضوء الحجرة، واندفع تجاه أريكة ضيفه. كان "جليمان" يصدر صوتًا غير بشري، كما لو أنه يُعَذَّب عذابًا يفوق الوصف. يتلوى تحت أغطية السرير، ثم بدأت بقعة حمراء في الظهور على الدثار.

جرؤ "إلوود" بصعوبةٍ على لمسه، لكن هدأ الصراخ والتلوي تدريجيًا. بحلول ذلك الوقت تزاحم "دومبروزكي" و""ديروشيه" و"شوينسكي" و"مازورويتش" ومستأجرو الطابق الأعلى على الباب، وأرسل مالك العقار زوجته لتتصل بالطبيب "مالكوفسكي". صرخ الجميع عندما قفز كائن كبير الحجم وشبيه للفأر من بين أغطية الفراش المضرجة بالدماء وهرول عبر الأرضية إلى فتحة الجحر الحديثة. حين حضر الطبيب وبدأ برفع أغطية الفراش المفزعة، كان "والتر جليمان" قد مات.

من الوحشية أن يفعلوا أكثر من توقُع ما قتل "جليمان". شاهدوا نفقًا خلال جسده، شيء ما قد التهم قلبه.

جَنَّب "دومبرزوكي" فكرة الإيجار جانبًا -وهو يستشيط غضبًا من فشل جهوده المستمرة لتسميم الفئران- وفي خلال أسبوع انتقل وجميع المستأجرين القدامى إلى منزل متواضع في شارع " والنَت" لكنه ليس عتيقًا مثل ذلك المنزل. أصعب شيء هو الإبقاء على "جو مازورويتش" صامتًا، فمصلح الأنوال المكتئب لن يظل متزنًا أبدًا، بل كان ينوح ويتمتم دائمًا عن الأشياء المرعبة التي حدثت.

يبدو أن "جو" -في تلك الليلة البشعة- انحنى ليستكشف مسار الفئران القرمزي الواصل بين أريكة "جليمان" وفتحة الجحر القريبة.

الآثار غير واضحة إطلاقًا على البساط، لكن جزءًا من الأرضية المفتوحة تداخلت بين طرف البساط وألواح القاعدة. وهناك وجد "مازورويتش" شيئًا متوحشًا، أو ظن كذلك، فلن يصدقه أحد رغم غرابة العلامات. لا تشبه الآثار على الأرضية بالتأكيد آثار فأر عادي، لكن حتى "شوينسكي" و"ديروشيه" لن يعترفا أنها تشبه آثار أربعة أيدٍ بشرية.

لم يُستأجر المنزل بعد ذلك إطلاقًا. بمجرد رحيل "دومبروزكي" آل المنزل إلى خراب، تجنبه الناس بسبب سمعته القديمة ورائحته العفنة الجديدة. ربما جاء سم الفئران الذي وضعه المالك القديم بنتيجة أخيرًا، فلم يمر وقت طويل بعد مغادرته إلا وصار المنزل مصدر إزعاج للحي. اقتفى مسئولو الصحة الرائحة إلى المكان المغلق فوق وبجوار العلية الشرقية، وتوقعوا أن عدد الفئران الميتة كبير، وقرروا أنه لا يستحق وقتهم الضائع في فتح تلك الأماكن المغلقة منذ فترة طويلة وتطهيرها، فالرائحة العفنة ستزول سريعًا، ولم يكن الحي من الأماكن صعبة الإرضاء عالية المعايير.

بالطبع ظلت هناك دائمًا الحكايات الغامضة الشعبية عن روائح كريهة أعلى الدَرَج في منزل الساحرة بعد يوم "بليتين" الوثني وعيد جميع القديسين. رضخ الجيران لذلك التأخير متذمرين، لكن صارت الرائحة العفنة سببًا إضافيًا لنبذ المنزل. وفي النهاية استعمل المنزل مسكنًا لمفتش البنايات.

لم تُفسّر أحلام "جليمان" ولا الظروف المصاحبة لها. أما "إلوود" -الذي كانت أفكاره أحيانًا جنونية حول ما حدث- فعاد إلى الجامعة

في فصل الخريف وتخرج في شهر يونيو التالي. وجد أن شائعات المدينة قلت كثيرًا، وفي الحقيقة- بالرغم من بعض الشهادات عن ضحكات شبحية في المنزل المهجور التي استمرت باستمرار وجود المبنى ذاته- لم يذكر أحد ظهور العجوز "كُزايا" أو "جينكن البني" منذ وفاة "جليمان". حالف "إلوود" الحظ نوعًا ما حين لم يعد موجودًا في "أرخام" في العام اللاحق، عندما جددت بعض الأحداث فجأة شائعات الرعب القديم.

بالطبع سمع عما حدث بعد ذلك وعانى عذابًا لا ينطق به بسبب تخميناته المحيرة. لكن حتى ذلك لم يكن سيئًا مثل الوجود بالقرب من المكان واحتمالية التعرض للمشاهد والأحداث.

في مارس عام ١٩٣١، حطمت عاصفة السقف والمدخنة لمنزل الساحرة الخالي، وأدى ذلك إلى فوضى من الطوب المتهدم، والألواح سوداء اللون والمكسوة بالطحالب، والأخشاب المتعفنة والمهشمة داخل العلية بل وحطمت الأرضية واخترقتها. طابق العلية بالكامل امتلأ بالحطام من الأعلى، لكن لم يخاطر أحد بلمس أي شيء من هذه الفوضى إلى أن يكون هدم ذلك المكان العتيق حتميًا. جاءت الخطوة النهائية في شهر ديسمبر التالي، عندما أُخليت غرفة "جليمان" على يد عمال متراخين ومتخوفين، حينها انتشرت الشائعات.

ظهر وسط المخلفات -التي هبطت إلى العلية مع السقف العتيق المنهار- بضعة أشياء دفعت العمال للتوقف والاتصال بالشرطة. لاحقا اتصلت قوات الشرطة بدورها بالطبيب الشرعي والكثير من أساتذة

الجامعة. اكتشفوا وجود عظام محطمة ومتشققة بشدة، لكن سهل التعرف على أنها عظام بشرية، حداثتها تتعارض بشكل محير مع طول مدة غلق المكان الوحيد الممكن إخفائها فيه -وهي الغرفة العلوية ذات الأرضية المائلة- فلم يكن هناك منفذ لأي بشري.

توصل الطبيب الشرعي إلى أن بعض العظام تنتمي إلى طفل صغير، بينما بعض آخر -ممتزج بقطع من قماش بني بالٍ- ينتمي إلى سيدة صغيرة الحجم ومتقدمة في العمر. بالفحص الدقيق للحطام تبين وجود الكثير من عظام الفئران الصغيرة، بالإضافة إلى عظام فئران أخرى أقدم قضمتها أنياب دقيقة بنمط مثير للجدل.

تضمنت الأشياء الأخرى قصاصات من كتب وصحف كثيرة، مختلطة معًا مع تراب أصفر ناتج عن تَحَلُل كتب وصحف أقدم، كلها من دون استثناء تتحدث عن السحر الأسود في أكثر صوره تطورًا ورعبًا، أما الأشياء الأحدث فظل وجودها لغزًا محيرًا مثل العظام الحديثة.

أما اللغز الأعظم فهو الكتابات المتماثلة والسيئة- التي ترجع لحضارات قديمة- الموجودة على عدد كبير من الأوراق التي تظهر من حالتها وعلاماتها المائية أنها تنتمي لسنوات مختلفة يرجع الفرق بينها من حوالي مئة وخمسين إلى مائتي سنة.

في نظر بعض الناس كان اللغز الأعظم هو التنوع غير المفسر للأشياء؛ شكلها والخامات المصنوعة منها وجودة صنعها، والهدف من وجودها، ظل محيرًا جدًّا، وُجدت متفرقة وسط الحطام مع

اختلاف حالاتها بعد التحطم. أحد هذه الأشياء -الذي كان محل اهتمام الكثير من أساتذة ميسكاتونيك وحماستهم- هو شكل مرعب مماثل تمامًا للشكل الغريب الذي منحه "جليمان" لمتحف الجامعة، لكنه أكبر حجمًا ومصنوع من حجر أزرق غير مألوف بدلًا من المعدن في نسخة "جليمان" ويرتكز على قاعدة تمثال فريدة غير قابلة للفك مزخرفة باللغة الهيروغليفية.

ظل علماء الآثار وعلماء الأنثربولوجيا(23) يحاولون فهم التصميمات الغريبة على صحن مزخرف مصنوع من معدن خفيف، احتوى تجويفه على مادة بنية تنذر بالسوء. كما ثرثرت الجدات الساذجات وكذلك الدخلاء عن صليب حديث الصنع من النيكل وسلسلته مكسورة وجد مع القمامة، وتعرف إليه "جو مازورويتش" مرتجفًا أنه الصليب الذي أعطاه لـ"جليمان" المسكين منذ عدة سنوات مضت. ظن بعضٌ أن الفئران جرت الصليب إلى الغرفة العلوية المغلقة، وبعضٌ آخر صدق أنه ظل في ركن ما على أرضية غرفة "جليمان" كل ذلك الوقت. أما البقية ومن بينهم "جو" نفسه فتبنوا نظريات أكثر جموحًا وخيالية أبعد مما يمكن تصديقه.

حين تهدم سقف حجرة "جليمان"، وُجد أن الفراغ المثلث بين قواطع السقف والحائط الشمالي للمنزل يحتوي على حطام أقل بكثير مما احتوت الغرفة نفسها، حتى بمقارنتها مع حجمه؛ وُجدت فيها كمية ضخمة من المواد القديمة مما شل حركة العمال من الرعب. باختصار، شكلت أرضيته مستودعًا لعظام الأطفال الموتى تجمع فوقه الحطام، بعض العظام حديث وبعض آخر يرجع إلى

أزمنة متعددة سابقة وبعضها تام التحلل. وجدوا أيضًا مع العظام سكينًا كبير الحجم يتضح من شكله وزخارفه وتصميمه أنه قطعة أثرية.

وُجد أيضًا في منتصف الحطام -عالقًا بين لوح خشبي ساقط ومجموعة من القوالب الأسمنتية من المدخنة المحطمة- شيء سبب المزيد من الارتباك والخوف وحديث المؤمنين بالخرافات في "أرخام" أكثر من أي شيء وجد في حطام المنزل الملعون. تمثل ذلك في هيكل عظمي محطم لفأر كبير مريض، شكلت تشوهاته محورًا للجدال والحيرة بين أعضاء قسم التشريح المقارَن في "ميسكاتونيك". نشب تخوف من انتشار خبر هذا الهيكل العظمي، لكن العمال الذين وجدوه تناقلوا الحديث عن الشعر البني الطويل المتصل به.

شكل عظام المخالب الصغيرة أقرب لقرد صغير منه لفأر، بينما الجمجمة الصغيرة ذات الأنياب المتوحشة فمثلت شكلًا شاذًا جدًا، بدت من بعض الزوايا مثل شكل مصغر وحشي ومحاكاة ساخرة لجمجمة إنسان. وَسَمَ العمال أنفسهم بعلامة الصليب في خوف عندما رأوا ذلك المُروق، ولاحقًا أضاءوا الشموع عرفانًا في كنيسة القديس "ستانيسلوس" حين شعروا أنهم لن يسمعوا الضحكات الشبحية الصاخبة مرة ثانية.

الغريب

هـ. ف. لافكرافت

في تلك الليلة حلم البارون بالكثير من الويلات

وكل محاربيه الضيوف مع الأشباح والساحرات

والشياطين ودودة التابوت الكبيرة

كانوا كابوسًا طويلا

كيتس

تعيسٌ هو من تجلب له ذكريات الطفولة الخوف والحزن فقط. بائس هو من ينظر إلى الوراء ليجد أيام الوحدة في الحجرات الواسعة الكئيبة ذات الستائر البنية وصفوف الكتب العتيقة التي تصيب الشخص بالجنون، أو الساعات المرعبة عند الشفق في البساتين البشعة العملاقة وأفرع الكروم الملتوية تلوّح عاليًا في صمت. لقد منحني الله الكثير، أنا الذاهل وخائب الأمل ومتبلد العقل، والمنكسر. ومع ذلك أنا أشعر بعرفان بدرجة غريبة ومتشبث بيأس بهذه الذكريات الذابلة، عندما أصبح عقلي مهددًا بالوصول إلى أخرى أبعد منها.

لا أعلم أين وُلدت تحديدًا، إلا أن القلعة كانت قديمة جدًا ومرعبة جدًا، تمتلئ بالممرات المظلمة، ولها سقف عالٍ حيث ترى الأعين فقط خيوط العنكبوت والظلال. أما الأحجار في الطرقات المتحطمة فبدت رطبة دائمًا بصورة بشعة، وتجد دائمًا رائحة ملعونة في كل

مكان، كما لو أنَّها لجثث متراكمة للأجيال السابقة. لم يوجد ضوء قط، لذا اعتدت أن أنير شموعًا وأحملق إليها بثبات بحثًا عن الارتياح، ولا وجود للشمس خارج المبنى، حيث نمت الأشجار عاليًا فوق أعلى برج يمكن الوصول إليه. هناك فقط برج أسود وحيد يعلو فوق الأشجار إلى السماء الخارجية غير المعروفة، لكنه محطم جزئيًا ولا يمكن صعوده بسلامة ولا تسلق حوائطه شديدة الانحدار.

بالتأكيد عشت سنوات طويلة في ذلك المكان، لكني لا أستطيع حساب المدة. ومن المؤكد أن المخلوقات اهتمت بي وبتوفير احتياجاتي، وبرغم ذلك لا أتذكر أي شخص سواي، أو أي شيء حي عدا الفئران والخفافيش والعناكب الهادئة. أعتقد أن أيًّا كان من اهتم بي فهو بالتأكيد طاعن في السن، أول فكرة لدي عن شخص حي هي لشيء يشبهني لكنه مشوه، وواهن، ومتداعٍ مثل القلعة. أمَّا أنا فلم ينفرني شيء من العظام والهياكل العظمية المختفية في التجاويف السفلية بين الأساسات. في خيالي أربط بينها وبين أحداث الحياة اليومية، وأظنها أكثر طبيعية من الكائنات الحية في الصور الملونة التي وجدتها في الكثير من الكتب المتعفنة. تعلمت من هذه الكتب كل ما أعرفه. لم يتابعني معلم أو يرشدني، ولا أتذكر سماعي لأي صوت بشري طوال تلك السنوات، ولا حتى صوتي أنا، بالرغم من قراءتي للنصوص، لم أفكر قط في تجربة الكلام بصوت عالٍ. أما هيئتي فلم أفكر فيها أيضًا، لم توجد مرايا داخل القلعة، وأنا بكل بساطة أعتبر نفسي بالفطرة قريبًا من أشكال الشباب التي رأيتها مرسومة في الكتب. شعرت بالوعي بفترة الشباب لأنني تذكرت

القليل جدًّا.

في الخارج، عبر الخندق المائي الآسن وتحت ظلام الأشجار الصامتة، عادة ما استلقيت وحلمت بما قرأته في الكتب، وكثيرًا ما رأيت نفسي وسط مجموعة من الناس في العالم المشمس خلف الغابة اللامتناهية. ذات مرة حاولت الهرب من الغابة، لكن عندما ابتعدت عن القلعة تكاثف الضباب وامتلأ الهواء بالخوف الكئيب، ولذلك هرولت بسرعة راجعًا خشية أن أفقد الطريق في متاهات صمت الليل.

لذا فقد حلمت وانتظرت في وقت غروب الشمس، على الرغم من عدم معرفتي ماذا أنتظر. وفي عزلتي الغامضة نما تشوقي إلى الضوء بجنون حتى لم أقدر على الراحة ثانية، ورفعت يديّ متوسلًا إلى البرج الأسود الوحيد الخَرِب الذي يصل أعلى من الأشجار إلى السماء الخارجية غير المعروفة. وفي النهاية صممت على تسلق ذلك البرج، على الرغم من أنني قد أسقط، فضلت أن ألمح السماء وأموت على أن أعيش من دون رؤيتها أبدًا.

تسلقت الدَرَج القديم المتهالك في برودة غروب الشمس، حتى وصلت إلى ارتفاع انتهت عنده الدرجات، وبعد ذلك تشبثت بحرص بمواطئ صغيرة للأقدام توصل إلى الأعلى. جال بخاطري أنها ميتة مرعبة ومروعة، أسطوانة صخرية من دون درجات، سوداء ومحطمة ومهجورة، وجود الخفافيش المفزعة -التي لا تصدر أجنحتها أي صوت- ينذر بالشر. لكن المفزع والمروع أكثر من ذلك هو تقدمي البطيء، فكلما تسلقت ازداد الظلام قتامة فوق رأسي، وانتابتني

رهبة شديدة بسبب العفن المسكون والمخيف الذي هاجمني. ارتعشت متعجبا لِمَ لَمْ أصل إلى الضوء بعد، وهل أجرؤ على النظر إلى أسفل. تخيلت أن الليل حل فجأة، وعبثًا مددتُ يدي الحرة متلمسًا فتحة نافذة حتى أنظر إلى الخارج ولأعلى وأحاول الحكم على الارتفاع الذي وصلتُ إليه.

حدث كل شيء في الوقت نفسه، بعد ترويع لا نهائيّ، زحفت لأعلى من دون أن أرى شيئًا على المنحدر المقعر، شعرت بيدي تلمس شيئًا صلبًا، وعرفت أني وصلت إلى السقف، أو على الأقل وصلت إلى أرضية ما، رفعت يدي الحرة في الظلام وتفقدت الحاجز، وجدته صخريًا لا يتحرك. ثم وجدت دوران البرج المميت، تشبثت بأي شيء منحته لي الجدران الزلقة حتى وجَدَت يدي الفاحصة أخيرًا الحاجز يلين، التفت لأعلى ثانية ودفعت اللوح أو الباب برأسي فقد استعملت يدي الاثنتين في التسلق بخوف. لم يظهر أي ضوء فوق، وبينما وصلت إلى أعلى عرفت أن تسلقي انتهى، حيث مثّل اللوح بابًا كباب مصيدة يفتح في اتجاه واحد يؤدي إلى طابق صخري محيطه أكبر من البرج السفلي، بلا شك هذا طابق غرف المراقبة الكبيرة الشاسعة. زحفت خلاله بحرص، محاولًا منع اللوح من السقوط راجعًا لمكانه، لكن فشلت محاولتي الأخيرة. بينما استلقيت متعبًا على الأرضية الصخرية سمعت صدى سقوطه الغريب، وتمنيت أن أستطيع فتحه ثانية عند الحاجة إلى ذلك.

عندما أيقنت أنني الآن أصبحت على ارتفاع هائل، بعيدًا جدًا عن فروع الغابة الملعونة، جذبت نفسي لأقف وتلمست طريقي إلى

النافذة، متمنيًا للمرة الأولى نحو السماء والقمر والنجوم التي قرأت عنها. لكن أصابني الإحباط من كل اتجاه، فقد وجدت فقط رفوفًا رخامية ضخمة تحمل صناديق قبيحة مستطيلة متنوعة الأحجام. فكرت كثيرًا، وراودتني أسئلة عن ماهية الأسرار القديمة التي تختبئ داخل هذا المكان بعيدًا عن القلعة في الأسفل طوال هذه المدة من الزمن. ثم ومن دون توقع وصَلَت يداي إلى مدخل تتعلق به بوابة صخرية، خشنة وذات نقوش غريبة. حاولت فتحها ووجدتها مغلقة، لكن بقوة اندفاع أكبر قليلًا تغلبت على العوائق ودفعتها لتفتح للداخل. وعند ذلك اختبرت أتقى نشوة شعرت بها في حياتي، بسبب الهدوء والطمأنينة التي انبعثت من صندوق مزخرف مصنوع من حديد، وأسفل الممر القصير الصاعد من الباب الذي وجدته حديثًا، رأيت القمر المكتمل المتألق، الذي لم أره قط إلا في أحلامي ورؤاي الغامضة فأنا لا أجرؤ على استدعاء الذكريات.

تخيلت في ذلك الوقت أنني وصلت إلى قمة القلعة، فشرعت في صعود الدرجات القليلة خلف الباب، لكن فجأة احتُجب القمر خلف الغيوم، فتعثرت والتمست طريقي ببطء في الظلام، الظلام ما زال باقيًا عندما وصلت إلى الحاجز الذي حاولت فتحه ووجدته مفتوحًا بالفعل، لكنني خفت أن أفتحه فأسقط من الارتفاع الهائل الذي وصلت إليه متسلقًا. ثم ظهر القمر من جديد.

الصدمة الأكثر شيطانية على الإطلاق هي غير المتوقعة بشكل سيئ ولا تصدق بشكل غريب. لم أمر بشيء في حياتي يقارن بالرعب الذي اختبرته حينها، بالمعجزة الغريبة التي رأيتها. المشهد

نفسه أصابني بالخدر، فهو ببساطة: بدلًا من الاحتمال الأكبر لرؤية قمم الأشجار من ارتفاع شاهق، وجدتها تمتد حولي خلال البوابة ورأيت الأرضية الصلبة، مزينة بألواح الرخام والعواميد، ومظللة بكنيسة حجرية قديمة، لمعت قمة منارتها المحطمة في ضوء القمر.

فتحت البوابة نصف واعٍ، وسرت متمهلًا على الطريق المفروش بالحصى الأبيض الممتد في اتجاهين، وظلَّ عقلي -المشدوه والمشوش في ذلك الوقت- متمسكًا بتوقه المحموم للضوء، ولم يُبقِني حتى المشهد العجيب الذي رأيته في مساري. لم أعرف أو أهتم إذا كانت تجربتي جنونًا أم حلمًا أم سحرًا، لكني عزمت على أن أحدق إلى تلك البهجة والتألق بأي ثمن. لم أعرف من أنا أو أين كنت، أو ماهية الأشياء المحيطة بي، على الرغم من ذلك أكملت سيري متعثرًا وبدأت أتذكر ذكرى بعيدة ومخيفة مما جعل تقدمي غير سعيد للغاية. مررت تحت قوس خارجًا من منطقة العواميد والألواح، وتجولت في المدينة المفتوحة، أحيانًا متتبعًا الطريق المرئي، وفي بعض الأحيان أتركه فضولًا لأمشي عبر المروج حيث حددت بعض الأطلال طريقًا قديمًا منسيًا. سبحت عابرًا نهرًا سريعًا ورأيت بقايا بناء مغطى بالطحالب يوحي بوجود جسر قديم لكنه اختفى منذ فترة طويلة.

مر أكثر من ساعتين قبل أن أصل إلى ما بدا أنه غايتي، قلعة مهيبة مغطاة بنباتات اللبلاب في حديقة كثيفة الأشجار، مألوفة بشكل جنوني ومع ذلك مملوءة بغرابة محيرة. وجدت الخندق المائي ممتلئًا، وبعض الأبراج المعروفة محطمة، بينما وجدت أجنحة

جديدة تريك الناظر. لكن ما لاحظته باهتمام كبير وبهجة هي النوافذ المفتوحة، متقدة بالضوء بشكل رائع، وسمعت خلالها أصوات أغرب الاحتفالات. تقدمت من نافذة منها ونظرت جماعة يرتدون ملابس غريبة، يمرحون ويتبادلون الحديث ببهجة. لم أسمع صوتًا بشريًا يتحدث من قبل على الإطلاق، وأستطيع فقط تخمين ما قيل. بدا أن أحد الوجوه يحمل تعبيرات ذكرتني بذكريات بعيدة جدًا، أما البقية فغرباء تمامًا.

خطوت خارج النافذة المنخفضة داخل حجرة مضاءة بشدة، كما لو أنتقل من لحظة مشرقة واحدة من الأمل إلى أحلك لحظات اليأس والواقعية. أتى الكابوس بسرعة، حين دخلت الحجرة رأيت فجأة واحدًا من أكثر المشاهد المرعبة في حياتي. بمجرد أن عبرت حافة النافذة هبط على الحضور خوف مفاجئ، شوه كل الوجوه وأطلق الصرخات المروعة من حناجر كل الحاضرين. هرب الجميع، وفي وسط الصخب والرعب تعثر الكثيرون وجرهم رفاقهم المرتعبون. غطى الكثير منهم أعينهم بأيديهم واندفعوا بسرعة من دون أن يروا متسابقين على الهروب، انقلب الأثاث وتعثر بعضٌ قبل أن يصلوا إلى أحد الأبواب الكثيرة.

صدمتني الصرخات، ووقفت في الشقة المبهرة وحدي مذهولًا، مُصغيًا إلى صدى صرخاتهم المتلاشي، ارتعدت من التفكير أن هناك ما يختبئ بجواري من دون أن أراه. للوهلة الأولى بدت الغرفة مهجورة، لكن بينما تحركت للأمام تجاه أحد تجاويف الجدار، ظننت أنني شعرت حضورًا ولمحت حركة خلف المدخل ذي القوس الذهبي

المؤدي لغرفة مماثلة. عندما اقتربت من القوس لاحظت الحضور بصورة أوضح، ثم مع أول صوت وآخر صوت ألفظه مطلقًا، سمعت ولولة مروعة أثارت اشمئزازي مثل سببها المقزز، نظرت متفحصًا، صورة وحشية حيوية ومخيفة لا يمكن تصورها، ولا يمكن وصفها، ولا يمكن ذكرها، حولت بظهورها حفل بهيج إلى قطيع من الهاربين المضطربين.

لا أتذكر مطلقًا ما حدث، فقد كان مزيجًا من الأشياء غير الطبيعية، وغير المرحب بها، وغير الطاهرة، والمقيتة، والخارقة للطبيعة، كشف حقيقة شبح متعفن، وتعرية مريعة لحقيقة كان على الأرض الرحيمة أن تبقيها مخفية. وحده الله يعلم، لا ينتمي ذلك إلى هذا العالم، أو لم يعد ينتمي له، ولرعبي رأيت شكلًا بغيضًا يُحاكي البشر ينظر إليّ شزرًا، جسده متآكل وهيكله العظمي ظاهر، وأفزعني مظهره المتعفن والمتحلل.

شُلت حركتي تقريبًا، لكن ما زال يسمح لي بالهروب، تعثرت للخلف وكاد ذلك أن ينهي كل شيء، واحتجزني الوحش الصامت المجهول. سحرتني عيناه الزجاجيتان، ظللت محدقًا إليهما غير قادر على إغلاق عينيّ على الرغم من أن غشاوة بصري، ورؤيتي للشيء المرعب بشكل غير واضح بعد الصدمة الأولى. حاولت رفع يدي لأمنع رؤيتي له، ما زلت مذهولًا فلم تخضع ذراعي لإرادتي. على الرغم من ذلك جاءت المحاولة كافية لإخلال توازني، فاضطررت إلى الترنح للأمام عدة خطوات لتجنب السقوط. وعند ذلك تنبهت فجأة بقرب الشيء المتحلل مني، وتخيلت سماعي لصوت أنفاسه الخاوية

البشعة. اقتربت من الجنون، لكني وجدت القدرة على مد ذراعي لصد الشبح المتعفن الذي اقترب كثيرًا، وفي لحظة كارثية من الرعب الكوني والحوادث الشيطانية، لمست أصابعي المخلب الممتد للوحش خلف القوس الذهبي.

لم أصرخ، وصرخت عني كل الأرواح الشيطانية التي تحملها رياح المساء، في اللحظة نفسها اصطدمت بذهني ذكرى وحيدة عابرة ومحطمة للنفس. عرفت في تلك اللحظة كل ما حدث، تذكرت ما خلف القلعة المخيفة والأشجار، وتعرفت المبنى الضخم الذي أقف فيه، وتعرفت -وهو ما أفزعني أكثر من أي شيء- الشيء البغيض غير الطاهر الواقف أمامي محدقا إليّ، عندها جذبت أصابعي الملوثة من أصابعه.

يحتوي العالم في الوقت نفسه على المرارة والعذوبة، وهذه العذوبة هي المخدر الذي ينسينا المآسي. في قمة رعب اللحظة نسيت ما أرعبني في الأساس، وتبخرت الذكرى السوداء في فوضى الصور المزدحمة. كما لو أنني هربت إلى حلم من اللحظة الملعونة وركضت بسرعة وصمت تحت ضوء القمر. وعندما وصلت إلى باحة الكنيسة الرخامية وهبطت الدرجات، وجدت الباب الشبيه بالمصيدة لا يتحرك، فلم أحزن فقد كرهت القلعة العتيقة والأشجار.

الآن أمتطي رياح الليل مع الوحوش الساخرة اللطيفة، وفي النهار ألعب بين مقابر "نيفرين-كا" (24) في وادي "حادوث" غير المعروف والمغلق بجوار النيل. أعرف أن الضوء ليس لي، أستثني من ذلك ضوء القمر فوق صخور مقابر "نيب"(25)، والمسرات ليست لي ما

عدا أعياد" نيتوكريس"(26) خلف الهرم الأكبر، والآن في بريتي الجديدة وحريتي أرحب بمرارة الاغتراب.

على الرغم من العذوبة التي سكنت آلامي وهدأت من روعي، عرفت دومًا أنني غريب، غريب في هذا القرن بين الذين ما زالوا رجالًا. فقد عرفت من اللحظة التي مددت فيها أصابعي إلى ذلك الشيء المتعفن في الإطار الذهبي الضخم، أني مددت أصابعي ولمست سطحًا باردًا لزجاج مصقول.

فئران المقبرة

هنري كوتنر

المصير المروع لحارس المقبرة في الجحور المرعبة أسفل اللحود.

"ماسون" العجوز، حارس واحدة من أقدم مقابر بلدة "سالم" وأكثرها إهمالًا، لديه ضغينة مع الفئران. منذ أجيال مضت جاءت الفئران من أرصفة الميناء واستقرت في المقابر، مستعمرة من الفئران كبيرة الحجم بشكل غير طبيعي، وعندما أوكلت المسؤولية إلى "ماسون" بعد الاختفاء غير المُفسر لحارس المقابر، قرر أن الفئران لا بد أن ترحل. في البداية نصب لهم فخاخًا ووضع طعامًا مسممًا في جحورهم، ولاحقًا أطلق عليهم النيران، لكن ذلك لم يجد نفعًا. ظلت الفئران تتكاثر وتجتاح المقبرة بحشودهم النهمة. كانت كبيرة الحجم، أكبر من *الجرذ النرويجي* الذي يبلغ طوله أحيانًا خمسين بوصة، ويميزها ذيل وردي ورمادي خال من الشعر. لمح "ماسون" بعضهم في حجم قطة متوسطة، وعندما -في مرة أو اثنتين- كشف حفارو اللحود جحورهم، اكتشفوا أن الأنفاق ذات الرائحة الكريهة تستطيع استيعاب رجل زاحف على يديه وركبتيه. أحضرت السفن -التي جاءت قديمًا من موانٍ بعيدة إلى أرصفة مواني بلدة "سالم"- شحنات غريبة.

تعجب "ماسون" أحيانًا من حجم الجحور الغريب، وتذكر أسطورة مزعجة وغامضة سمع أنها تعود إلى العصور القديمة، أن هناك حياة غير بشرية للموتى في الجحور المنسية تحت الأرض. انتهت الأيام

الخوالي عندما طارد "كوتن ميذر" الطوائف الشيطانية التي عبدت "هيكاتي"(27) وأم الشرور العظمى(28) بطقوس مروعة، لكن البيوت الشريرة ذات الأسقف المحدبة ظلت تستند بخطورة إلى بعضها بعض عبر الشوارع المرصوفة بالحصى، ويقال إن هناك أسرارًا مارقة وألغازًا مخبئة في أقبية وكهوف تحت الأرض، حيث يُحتَفل بممارسة الطقوس الوثنية في تحدٍ للعقل والقانون. صرح شائبو الشعر بحكمة أن هناك أشياء أسوأ من الفئران والديدان تزحف في أرض مقابر "سالم" القديمة غير المقدسة.

وُجد بعد ذلك أيضًا الخوف المُشبّع بالفضول تجاه الفئران. كره "ماسون" القوارض الصغيرة الشرسة لكنه احترمها، فهو يعرف الخطر الكامن في أنيابها الحادة كالإبر، ومع ذلك لم يفهم رعب القدماء غير المفسر من المنازل المهجورة الموبوءة بالفئران. سمع شائعات غامضة عن الكائنات البشعة القاطنة بعيدًا تحت الأرض، التي تمتلك القدرة على أمر الفئران، وتسييرهم مثل جيش عظيم. همس القدماء أن الفئران أدت وظيفة المبعوثين بين هذا العالم والكهوف العتيقة الشرسة بعيدًا تحت "سالم". كما قالوا إن الأجساد سُرقت من اللحود من أجل إقامة أعياد تحت الأرض. خرافة "زمار هاملين"(29) هي حكاية رمزية تخفي رعبًا ومُروقًا، وتجاويف "أفرنس" (30) أحضرت وحوش الجحيم التي لم تجازف قط بالظهور في ضوء النهار.

لم يعط "ماسون" اهتمامًا كبيرًا إلى هذه الحكايات. لم يكوّن علاقات صداقة مع جيرانه، وفي الحقيقة، بذل كل وسعه في إخفاء

وجود الفئران عن المتطفلين. أدرك أن التقصي سيستلزم فتح الكثير من اللحود. وبينما كان هناك بعض التوابيت المنخورة الفارغة بفعل الفئران، لن يستطيع "ماسون" تفسير الأجساد المشوهة في بعض التوابيت الأخرى. استعملوا ذهبًا صافيًا في ملء فراغات الأسنان، ولم يُزل عندما يدفن الرجل. الملابس تعد مشكلة أخرى، فغالبًا ما يوفر متعهد الدفن قماشًا من الجوخ الرخيص يسهل معرفته. لكن الذهب أمر آخر. وفي بعض الأحيان أيضًا يحتاج دارسو الطب -أو بعض الأطباء الأقل شهرة- إلى الجثث، ولا يهتمون كثيرًا بالمكان الذي تُقتنى منه هذه الجثث.

حتى ذلك الوقت نجح" ماسون" في تعطيل عملية التقصي. أنكر بعنف وجود الفئران، حتى وإن سرقوا غنائمه. لم يهتم "ماسون" بما يحدث للأجساد بعد أن ينتهي من سرقاته الشنيعة، لكن الفئران دائمًا ما تجر الجثة بأكملها من الثقب الذي تصنعه في التابوت.

قلق "ماسون" أحيانًا من حجم الجحور. وكان هناك أيضًا الملابسات الغريبة للتوابيت المقروضة والمفتوحة دائمًا من نهايتها، لا من جانب التابوت أو مقدمته. كما لو أن الفئران تعمل تحت إرشاد قائد ذكي.

وقف في لَحد مفتوح وألقى آخر حفنة من التربة المبتلة على الركام بجانب الحفرة. ظلت تمطر لمدة أسبوع، رذاذًا بطيئًا باردًا، من سحب سوداء رطبة. شكلت المقابر مستنقعًا من الوحل الأصفر، غسلت الأمطار شواهد القبور-التي انتصبت في مجموعات غير منتظمة- منه. تراجعت الفئران لجحورها ولم ير "ماسون" أحدًا لأيام.

لكن وجهه الهزيل غير الحليق ظل عابسًا، فالتابوت الذي يقف أمامه الآن مصنوع من الخشب.

دُفن الجسد منذ عدة أيام مضت، لكن "ماسون" لم يجرؤ على أن ينبش قبره قبل ذلك اليوم. جاء الكثير من أقرباء المتوفى إلى المقابر على فترات، حتى في أثناء الأمطار الغزيرة. فكَّر "ماسون" وهو يبتسم بسخرية، أنه لا يتخيل نفسه يزور المقابر في مثل هذه الساعة المتأخرة مهما كانت شدة الحزن الذي يعانيه. استقام وأراح الرفش جانبًا.

استطاع أن يرى أضواء "سالم" الوامضة وميضًا خافتًا خلال هطول الأمطار من أعلى التل حيث تقع المقبرة القديمة. سحب مصباحًا يدويًا من جيبه، فهو يحتاج إلى الضّوء الآن. أخذ المجرفة، وانحنى لفحص التابوت المغلق بعناية.

تصلّب فجأة حين شعر بخدش وتقلُب غير هادئ خلف قدميه، كما لو أن هناك ما يتحرك داخل التابوت. شعر "ماسون" للحظة بخوف وتشكك، ثم حل محله الغضب عندما أدرك ماهية الصوت، فقد سبقته الفئران مرة أخرى.

في أثناء نوبة غضبه، سحب "ماسون" التابوت المغلق بقوة. وضع حافة الرفش الحادة أسفل الغطاء وانتزعه وثبته لأعلى حتى ينتهي من العمل بيديه. ثم وجه أشعة المصباح اليدوي الباردة إلى الأسفل داخل التابوت.

تناثرت الأمطار على البطانة الحريرية، كان التابوت فارغًا. رأى

"ماسون" حركة مرتعشة عند رأس الصندوق فصوب الضوء تجاهها.

لاحظ نهاية التابوت وقد قُضمت تاركة فتحة تؤدي إلى ظلام. وفيما هو ينظر، رأى حذاء وساقًا يُجران ثم يختفيان، فعرف أن الفئران سبقته فقط ببضعة دقائق. جثا على يديه وركبتيه وأمسك الحذاء بسرعة، لم يتحكم في المصباح اليدوي فسقط داخل التابوت وانطفأ. سُحِب الحذاء من قبضته وسمع صرخة حادة متحمسة، ثم أمسك المصباح اليدوي من جديد ووجه ضوءه داخل الجحر.

وجد الجحر هائل الحجم، توقع ذلك وإلا فلن تُجر الجثة خلاله. تساءل "ماسون" عن حجم الفأر الذي يتمكن من حَمل جسد إنسان، لكن تذكره للمسدس الملقّم في جيبه منحه القوة.

إذا كانت الجثة عادية لترك الفئران تنعم بغنيمتها بدلًا من المخاطرة بدخول الجحر الضيق، لكنه تذكر أنه لاحظ مجموعة مميزة من أزرار الأكمام ومشابك مصنوعة بلا شك من لآلئ حقيقية. علق المصباح اليدوي في حزامه من دون أن يتوقف ليفكر وتسلل داخل الجحر.

وجد الجحر ضيقًا مقارنةً بحجمه، لكنه نجح في ضغط نفسه داخله. رأى الحذاء يُجر أمامه في النفق -على ضوء المصباح اليدوي- عبر الأرضية المبتلة، تسلل في الجحر بأقصى ما تمكن من سرعة، وبصعوبةٍ استطاع ضغط جسده النحيل عبر جدرانه الضيقة.

طغت رائحة الهواء المتشبع بعفونة بالجثث. قرر "ماسون" إن لم يصل إلى الجثة خلال دقيقة فسيعود أدراجه. زحف الخوف متأخرًا

إلى عقله، مثل اليرقات، لكن الجشع حثه على المواصلة. زحف للأمام عدة مرات مارًا بفتحات الأنفاق المجاورة. كانت حوائط الجحر رطبة ولزجة، وسقطت كتلتان من القاذورات خلفه. توقف للمرة الثانية ونظر خلفه. لم ير شيئًا بالطبع، حتى فك المصباح اليدوي من حزامه وأداره.

رأى عدة كتل من التراب متجمعة على الأرض خلفه، وأدرك فجأة حقيقة خطورة موقعه. تسارع نبضه مع التفكير في إمكانية حدوث انهيار داخليّ، قرر أن يتخلى عن سعيه، بالرغم من أنه تجاوز في ذلك الوقت الجثة والأشياء غير المرئية التي تجذبها، لكنه غفل عن شيء واحد؛ الجحر أضيق من أن يسمح له بالاستدارة.

أصابه الذعر لبرهة لكنه تذكر نفقًا جانبيًا مر به منذ قليل، سار للخلف بشكل غريب حتى استطاع أن يستدير. ثم تتبع طريقه على عجل، على الرغم من آلام ركبتيه والكدمات التي أصابتها.

ضرب ساقه ألم مبرح. شعر بأسنان حادة تُغرز في لحمه، فركل بشكل محموم. سمع صريرًا حادًا وهرولة أقدام كثيرة. وعندما أنار خلفه بالمصباح اليدوي، شهق "ماسون" من الخوف، فقد رأى دزينة من الفئران الضخمة ترمقه باهتمام، وعيونها المشقوقة تتألق في الضوء. وجد أشكالهم مشوهة، وأحجامهم كبيرة كالقطط، وخلف الفئران لمح شيئًا مظلمًا تحرك بسرعة في الظلال، وارتجف من حجم الأشياء غير المعقول.

شل الضوء حركتهم للحظة، ثم اقتربوا تدريجيًا، ظهرت أسنانهم

برتقالية اللون في الضوء الخافت. سحب "ماسون" مسدسه، تمكن من تحريره من جيبه، وصوب بحرص. كان وضعه غريبًا، حاول أن يضغط قدميه داخل جوانب الجحر الرطبة حتى لا يصيبهما بالرصاص من دون قصد.

أصمه هزيم رعد الطلقة لبعض الوقت، وسعل بسبب سُحب الدخان. عندما استطاع السمع مجددًا وانقشع الدخان، وجد أن الفئران غادرت. أعاد المسدس موضعه وزحف بسرعة عبر النفق، وفجأة هرولوا مندفعين نحوه ثانية.

احتشدوا فوق ساقيه، قرضوا وصرخوا بجنون، صاح "ماسون" مرتعبًا وهو ينتزع مسدسه. أطلق النار من دون تصويب، وحده الحظ أنقذه من إصابة قدميه. لم تتراجع الفئران مبتعدة هذه المرة، وزحف "ماسون" بأقصى سرعة ممكنة عبر الجحر، مستعدًا لإطلاق النار عند سماع أول صوت لمهاجمة أخرى. سمع نقر أقدام خفيف فوجه الضوء خلفه. توقف فأر ضخم ليشاهده، وارتعش شعر شاربه الأشعث، وتحرك ذيله الخشن الخالي من الشعر من جانب لآخر.

صرخ "ماسون" فتراجع الفأر. زحف سريعًا ولم يتوقف سوى لحظات خاطفة، صارت فتحة النفق الجانبي حذاء مرفقه، ثم وجد كتلة غير محددة الشكل من الطين الرطب أمامه. ظن لوهلة أنها كتلة منهارة من سقف النفق، لكن سرعان ما اكتشف أنه جسد بشري. مومياء بنية ذابلة، ولصدمته ورعبه وجدها تتحرك. زحفت المومياء تجاهه وفي الضوء الخافت للمصباح اليدوي رأى "ماسون" رأس جرجول(31) يندفع نحو وجهه، رأس بلا تعبيرات لجثة مضى على

موتها وقت طويل، مملوءة بالرعب. وعيناها المصقولتان منتفختان تتحديان عمى الجسد الميت. أصدرت الجثة صوت أنين بينما تزحف نحو "ماسون"، وتمددت شفتاها الخشنتان بابتسامة تنم عن جوع مخيف. جمّد الخوف والاشمئزاز "ماسون"، وقبل أن يلمسه الجسد المرعب، رمى نفسه بسرعة في النفق الجانبي. سمع ضوضاء تتزاحم عند كاحليه، واقترب أنين ذلك الشيء فيما يلحقه. ألقى "ماسون" نظرة سريعة خلفه، ثم صرخ ودفع نفسه بيأس خلال الجحر الضيق. زحف على أحجار حادّة جرحت يديه وركبتيه. غمر التراب عينيه، لكنه لم يجرؤ على التوقف ولو للحظة. اندفع، ولهث، ولَعَن، وصلى بشكل هستيري. اندفعت الفئران نحوه وهي تصيح بانتصار، والجوع ظاهر في نظراتهم المرعبة. كاد "ماسون" أن يستسلم لأسنانهم الشريرة قبل أن ينجح في هزيمتهم. صار الممر أكثر ضيقًا، وفي نوبة ذعره ركل وصرخ وأطلق النار حتى نفد الرصاص. لكنه نجح في إبعادهم. وجد نفسه يزحف تحت صخرة عظيمة، مدفونة في السقف، غرزت بقسوة في ظهره، تحركت قليلًا عندما صدمها بوزنه، وطرأت فكرة على عقله المرتعب.

إذا استطاع أن ينزل الصخرة فسوف يسد النفق. ما زالت الأرض رطبة ومبتلة من الأمطار، حنى ظهره لأعلى وحفر حول الصخرة. اقتربت الفئران منه، ورأى عيونها تلمع في انعكاس أشعة المصباح اليدوي. ظل متشبثًا بالأرض حولها بشدة وبدأت الصخرة في الاستجابة. جذبها "ماسون" فاهتزت من قاعدتها. اقترب منه فأر، الوحش نفسه الذي لمحه من قبل. تسلل للأمام بجلده المتقرح

الرمادي البشع، كاشفًا أسنانه البرتقالية اللون، وأتى معه الشيء الميت الأعمى يئن زاحفًا. دفع "ماسون" الصخرة بشدة لمرة أخيرة. شعر بها تنزلق للأسفل، ثم اندفع خلال النفق. هوت الصخرة خلفه، وسمع فجأة صرخة ألم مرعبة. انهمرت كتل التراب على ساقيه، وسقط حمل ثقيل على قدميه، لكنه حررهما بصعوبة. انهار النفق بأكمله. ألقى "ماسون" نفسه للأمام عندما هوت الأرض الرطبة عند قدميه. ضاق النفق واستطاع بصعوبةٍ استعمال يديه وساقيه ليدفع جسده، تلوى للأمام مثل سمكة الإنكليس(32)، وفجأة شعر بنسيج حريري يتمزق تحت أصابعه التي استعملها كالمخالب، ثم ارتطم رأسه بشيء حظر مروره. حرك قدميه واكتشف أنهما غير عالقتين تحت الأرض المنهارة. كان مستلقيًا على بطنه، وعندما حاول رفع نفسه، وجد السقف يبتعد فقط بضع بوصات فوق رأسه. أصابته نوبة ذعر. فحين أعماه الرعب وسد طريقه، دفع نفسه إلى نفق جانبي ليس له مخرج. صار *داخل تابوت*، تابوت فارغ تسلل داخله عن طريق الفتحة التي صنعها الفئران في نهايته. حاول أن يلتف على ظهره فلم يستطع. قيد غطاء التابوت حركته بلا رحمة. ثم اجتهد ليرفع غطاء التابوت بظهره لكنه لم يتحرك، وحتى إن نجح في الهروب من التابوت، فكيف يستطيع أن يحفر طريقه لأعلى عبر خمسة أقدام من الأرض الصلدة؟ وجد نفسه يلهث. كانت الرائحة عفنة جدًا، والجو حار لا يُحتمل. قطع الحرير المبطِن للتابوت في نوبة رعب. حاول بغير جدوى أن يحفر بقدميه في الأرض المنهارة التي سدت النفق ومنعته من الرجوع. فقط إن استطاع أن يعكس وضعه، كان من الممكن أن يحفر بيديه طريقًا نحو الهواء..... الهواء......

شعر بطعنات حادة في صدره، ونبضت عيناه بالألم. شعر برأسه وكأنه يتورم لينمو أكبر وأكبر، وفجأة سمع صرخة الفأر المتهللة. للحظة تهيّج بهستيرية داخل سجنه الضيق، ثم هدأ لاهثًا لطلب الهواء. ارتخى جفناه، خرج لسانه الأسود من فمه، وغرق في ظلمة الموت مع صرخات الفئران المجنونة تضج في أذنيه.

---

(1) - Henry Fuseli: فنان ورسام بريطاني من أصل ألماني سويسري. اشتهر بلوحاته التي مثلت عوالم ما وراء الطبيعة مثل لوحة "الكابوس". (ملحوظة المترجمة)

(2) -Gustave Dore', Sidney Sime, Anthony Angarola: رسامون موهوبون اشتهروا بفنهم المختلف وذكرهم لافكرافت في أعماله. (ملحوظة المترجمة)

(3) -Francisco Goya: رسام إسباني اشتهر بلوحات النبلاء والاضطرابات السياسية والاجتماعية. (ملحوظة المترجمة)

(4) -Gargoyle: كائن خرافي مرعب الشكل. (ملحوظة المترجمة)

(5) -Chimaeras: مخلوقات أسطورية إغريقية لها رأس أسد وجسم شاه وذيل أفعى. (ملحوظة المترجمة)

(6) - معالم أثرية في فرنسا. (ملحوظة المترجمة)

(7) -"Danver's asylum" أو "Danver's state hospital": مستشفى للأمراض النفسية. (ملحوظة المترجمة)

(8) - Cotton Mather: كان قسًا بيوريتانيًا متشددًا في نيو إنجلاند صاحب نفوذ اجتماعي وسياسي ومؤلف نشط، له الكثير من المؤلفات ويشتهر بدعمه الشديد لمحاكمة الساحرات في "سالم" وله بعض الأبحاث والتجارب في مجالات التهجين واستخدام اللقاحات. (ملحوظة المترجمة)

(9) - Magnalia Christi Americana و Wonders of the invisible world: كتابان من تأليف كوتن ميذر، يحتويان على وصف بعض الأماكن في "ماساتشوستس"، وتفاصيل عن محاكمات الساحرات. (ملحوظة المترجمة)

(10) -Sir William Phips, Sir Edmund Andros: حاكمان مشهوران في فترة محاكمة الساحرات. (ملحوظة المترجمة)

(11) - Sydney Sime: فنان إنجليزي مشهور بأعماله الساخرة والخيالية غير التقليدية. (ملحوظة المترجمة)

(12) -Clark Ashton Smith: شاعر ورسام وروائي أمريكي. (ملحوظة المترجمة)

(13) - كتب من خيال "لافكرافت" يذكرها كثيرًا في قصصه. (ملحوظة المترجمة)

(14) - "May eve": عيد وثني يُحتفل به في الحادي والثلاثين من أبريل. (المترجمة)

(15) - "الجني النصير" في التراث الشعبي الأوروبي هو كيان روحي يحمي السحرة، يظهر غالبًا في شكل حيوان وأحيانًا في شكل بشري ويختلف عن الشبح بأن له شكل محدد الأبعاد. (ملحوظة المترجمة)

(16) - "جورج فريدريك برنارد ريمان" عالم رياضيات ألماني أسهم في الكثير

من النظريات الرياضية والهندسية. (ملحوظة المترجمة)

(17) -Spacetime: الزمكان أم الزمان المكاني، هو دمج لمفهومي الزمان والمكان، هو الفضاء بأبعاده الثلاثة التي نعرفها (الطول والعرض والارتفاع) مضافًا إليها الزمن كبعد رابع. (ملحوظة المترجمة)

(18) - ليلة فالبورجيس: عشية عيد القديسة فالبورجيس، كانت رئيسة لدير في فرنسا ويعتقد المسيحيون في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا بقدرة صلواتها على حمايتهم من تأثير السحر. ويتزامن ذلك في بعض البلاد الأوروبية مع يوم حرق الساحرات، لذلك ارتبط في الأعمال الأدبية بظهور قوى الشر. (ملحوظة المترجمة)

(19) - أزاثوث: أحد الآلهة في أدب لافكرافت. (ملحوظة المترجمة)

(20) - نيارلاثوتاب: ابن أزاثوث. (ملحوظة المترجمة)

(21) - مجموعات نجمية. (ملحوظة المترجمة)

(22) - Shub Niggurath: آلهة من خيال لافكرافت يشار إليها أحيانًا بـ"سيدة الغابات". (ملحوظة المترجمة)

(23) - Anthropology: علم الإنسان وهو العلم المتعلق بدراسة تطور الإنسان وعلاقته بالبيئة المحيطة والثقافة بمرور الزمن واختلاف المكان. (ملحوظة المترجمة)

(24) -Nephren-Ka: فرعون مصري من خيال لافكرافت. (ملحوظة المترجمة)

(25) -Neb tombs: مقابر نب أمون في الضفة الغربية لنهر النيل. (ملحوظة المترجمة)

(26) -Nitokris: "نيت إقرت"، قيل إنها الملكة الأخيرة في الأسرة السادسة المصرية، لكن تاريخية هذه الشخصية وكونها حقيقية أم خيالية ما زال محل جدال. (ملحوظة المترجمة)

(27) -Hecate: إلهة في الميثولوجيا والديانة الإغريقية القديمة، ترتبط بتقاطعات الطرق والمداخل والأضواء والسحر والشعوذة والأشباح والنباتات السامة. (ملحوظة المترجمة)

(28) - Dark Magna Mater: إلهة من خيال لافكرافت، تعتبر أم الآلهة ولها اسم آخر مشهور هو Shub-Niggurath. (ملحوظة المترجمة)

(29) -The Pied Piper: حكاية شعبية ألمانية عن زمّار سحر مائة وثلاثين طفلًا بعزف لحن على مزماره، وقادهم خارج بلدة هاملين إلى مغارة أُغلقت وراءهم. (ملحوظة المترجمة)

(30) -Avernus: الاسم القديم لفوهة بركانية في إيطاليا، وفي الحضارة الرومانية القديمة اعتقد أنها مدخل للعالم السفلي. (ملحوظة المترجمة)

(31) -Gargoyle: كائن خرافي مرعب الشكل. (ملحوظة المترجمة)

(32) - سمك الإنكليس المعروف أيضا بثعبان الماء. (ملحوظة المترجمة)